المثال القيمي والتغيير الاجتماعي

الدكتور
شفيق ابراهيم الجبوري





المثال القيمي

والتغير الأجتماعي

رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية (2013/12/4191)

الجبوري، شفيق ابراهيم

المثال القيمي والتغير الاجتماعي في المجتمع العراقي منذ منتصف القرن العشرين شفيق ابراهيم

عمان: دار غيداء للنشر والتوزيع، 2013

( ) ص

ر.أ: (2013/12/4191).

الواصفات:/ التغير الاجتماعي// العراق// الحروب

❖ تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

ISBN 978-9957-572-84-6



تلاع العلي – شارع الملكة رانيا العبدالله
مجمع العساف التجاري – الطابق الأول

تلفاكس : 5353402 6 962+
خلــــوي : 95667143 7 962+

ص.ب : 520946 عمان 11152 الأردن
E-mail: darghidaa@gmail.com

المثال القيمي والتغير الأجتماعي

في المجتمع العراقي

منذ منتصف القرن العشرين وحتى مطلع القرن الواحد والعشرين (زمن الاحتلال الامريكي)

دراسة تحليلية اجتماعية في علم اجتماع المعرفة والمنهج الظاهراتي (الفينومينولوجي)

د. شفيق ابراهيم صالح الجبوري

استاذ مساعد

علم اجتماع معرفة

الطبعة الأولى

2014 م – 1435 هـ

الفهرس

المقدمة

شهد المجتمع العراقي ضروباً من التغير عبر مسيرته الحضارية خلال القرن العشرين، ويذهب المتخصصون الاجتماعيون الى ان الزمن عامل رئيسي في حركة التغير الاجتماعي وهو ما حاولنا تتبعه خلال بحثنا منذ أواخر خمسينات القرن العشرين ومطلع القرن الواحد والعشرين، والتغير في خطه العام يعني حدوث اختلاف في أية ظاهرة يمكن خضوعها للملاحظة عبر أية فترة زمنية، وقد يكون هذا الاختلاف بسيطاً لا يتعدى تحويراً شكلياً سطحياً لا يلفت نظر المشاهد وقد يكون اختلافاً جوهرياً في الظاهرة التي تدرس (1).

وهذا ما حاولنا تشخيصه في بحثنا من خلال تتبعنا شكل المثال القيمي في المجتمع العراقي ورصد بدايات التغير فيه، وقد وجد الباحث ان المثال القيمي لم يشهد تغيراً على مستوى المصادر التي استقى مبادئه منها بل انه عاد اليها مطلع الاحتلال إلا ان ذلك لا يعني ان معالم المثال كانت ثابتة، فقد شهدت تغيرات طفيفة رافقت تغيرات الاوضاع الأجتماعية والاقتصادية والسياسية التي شهدها البلد، إلا ان الذي حدث كان تطويعاً لهذا المثال كي يوافق تلك التغيرات وقد كان ميدان التطويع هذا السلوك الأجتماعي فكانت معالم تلك التغيرات اوضح في مظاهره السلوكية منها في مثاله القيمي.

وقد حاولنا استقصاء ذلك بعد تحديدنا حدود الموضوع النظرية ومنهجه العلمي وفق فصول خمسة كان اولها: بحث الاعداد الأجتماعي والبناء القيمي وفق آلية بناء النظرية الأجتماعية، ثم بحث مسيرة الحراك الأجتماعي في المجتمع العراقي،

(1) قيس النوري، آفاق التغير الاجتماعي في النظرية والتنموية، جامعة بغداد، 1990، ص17.

وكان مضمون المحور الثالث تفسير السلوك الأجتماعي وفق معادلة اجتماعية – نفسية اما المحور الرابع فقد بحث اوضاع العراق مطلع الاحتلال الامريكي وأخيراً حاول المبحث الخامس تأطير التجريب الذي استعرضه في متن البحث نظرياً، ثم ختم البحث بخاتمة وفهرست بقائمة المصادر.

حدود الموضوع النظرية والمنهج العلمي

يقول جدنز لا معنى للقول بان البناء يحدد الفعل او بالعكس[1] ومعلوم ان هذا يمثل جهداً تنظيرياً لجدنز يهدف منه التوحيد بين النظريات الصغرى والنظريات الكبرى حيث يتحد الفعل بالفاعل، (الفعل الاجتماعي والموقف الاجتماعي) وقد اتخذ جدنز من الانشطة الاجتماعية نقطة البداية بالنسبة له، إلا أنه يصر على ان تلك الأنشطة متكررة أي انها لا تظهر الى الوجود بواسطة الفاعلين الاجتماعيين ولكنها تتجدد بواسطتهم من خلال الوسائل الفعلية التي يعبرون بها عن انفسهم كفاعلين ويقوم الفاعلون في انشطتهم ومن خلالها بانتاج الظروف التي تجعل هذه الأنشطة مشتملة الحدوث[2].

ويمكن تلمس وحدة التحليل هنا في كون المجتمع العراقي نفسه هو ذلك المتصل ذي الطرفين المتفاعل مع بعضه في مجال حيوي اسمه التغير الاجتماعي على مر المراحل التي مر بها المجتمع "وهي حسب تصور الباحث ووفق موضوع البحث خمسة بدأت باصلاحات مدحت باشا أواسط القرن 19 ثم مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية وحتى بداية السبعينات ومن السبعينات حتى الحصار الشامل 1990

(1) مصطفى خلف، عبد الجواد، دار المسيرة ، عمان، ط1، 2009، ص444

(2) المصدر نفسه، ص445.

ومرحلة الحصار الشامل حتى 2003 حينما دخل الامريكان العراق واخيرا مرحلة الاحتلال الامريكي في 2003 ولكل منها محدداتها الظرفية الاجتماعية والسياسية التي عملت الى احداث تغير اجتماعي في المثال القيمي السابق لها حتى اصبح هو ما يميزها عن غيرها اللاحق لها لما لحق بالأخير من محددات ظرفية جديدة ربما وهكذا دواليك انتهاءاً بالمرحلة الحاضرة (الاحتلال الامريكي) دون الوقوف عندها طبعاً.

من هنا سيكون من الطبيعي فهم حالة التغير الأجتماعي من داخل السلوك الاجتماعي أي (فهم المعنى بلغة ماكس فيبر) إذا فصلنا الشعور في التحليل الأجتماعي واعتمدنا المنهج الظاهراتي الفينومينولوجي فهو يقوم على ركنين في دراسة الفعل الاجتماعي هما: الفهم والفعل القصدي؛ والموقف الظاهراتي انما يتبلور في تصور الشعور على انه قصد متبادل يربط ما بين الفعل والتجربة حين يلتقيان[1] ذلك ان الفعل الاجتماعي ينشاء من "دوافع داخلية أي دوافع من اللاشعور واخرى من النظام الاجتماعي[2]. والمنهج الظاهراتي هو ابراز لعلاقة التفاعل ما بين شعور الفرد والتصور الاجتماعي العام للمجتمع تجاه الافعال الاجتماعية، فهو ربط ما بين ذات الفرد التي تتصف بالخصوصية ذات الاساس الشعوري النابع من دخيلة الفرد، وثيقة الصلة بالعمومية الصادرة عن عقل جمعي.

يرتكز المنهج الظاهراتي على عنصر الفهم الواعي. ويمثل مفهوم (الفهم الواعي) الشعور الفردي الممتد الى شعور الافراد الاخرين بشكل نسيجي يجعل فيها

---

(3) ينظر قباري محمد اسماعيل، منهج البحث في علم الاجتماع، منشأة المعارف بالاسكندرية، دون تاريخ، ص571-594.

(1) بول لازرسفيلد، الاتجاهات الاساسية في علم الاجتماع، ترجمة د. احمد النكلاوي و د. عواطف فيصل بياري، مكتبة نهضة الشرق- القاهرة، بدون تاريخ، ص94.

الـوعي، مـن الفهـم، الارادة المعلقـة للـذات، فيكـون وعـي الباحـث الاجتمـاعي المستخدم المنهج الظاهراتي وعياً عميقاً لانه قد ميز بـين الـذواتات الفرديـة وادرك الفواصل بينهما كما ادرك انها قد تصبح طبقة او دولة او مجتمعاً بكامله فهـي نزعـة ذاتية جماعية "والنزعة الذاتية الجماعية، هي ذاتية الانسان على مستوى الكلية، وهـي الصيغة المكتملة لتأكيد هذه الذاتية"[1] فكان الفهم الـواعي، فهمـاً يـسمح بـدخول الشعور الى الواقع الجمعي. وبالتالي اصبح العقل الجمعي، خارطة ذهنية يتحسـسها الظاهراتي بحساسية الشعور.

ان التداخل ما بين شعور الفرد والعقل الجمعي يجعل من المنهج الظـاهراتي اداة مسح للفكر الاجتماعي من خـلال مبـدأ الفهـم الـواعي الـذي يمنح الباحـث القدرة على التميز ما بين الفكر الاجتماعي المستند علـى ركـائز معرفيـة – نظريـة. وما بين الفكر الاجتماعي المـستند علـى ركـائز معرفيـة – تجريبيـة، اذ ذاك يتـشكل التجريد الحي، وهو يختلف عن التجريد النظـري فـاذا كـان الاخـير يرسـم صـورة لمجتمع بمنظار فلسفي لا يمت الى الواقع إلا بصلة الارتبـاط الوصـفي (الاثنـوغرافي) حاملاً في طياته ابعاد المايجب ان يكون، فان الأول يجسد صورة الواقـع الأجتمـاعي من خلال الشعور والأطار المجتمعي له، فيخوض في حيثيات دواخل النفس الفردية التي غالباً ما تميل الى التأطير والأعتماد على التبرير في تفـسيراتها لـسلوكها فيجـيء التجريد الحي، كاشفاً هذه الصورة الذاتية للذواقات الأخـرى علـى صـعيد يكـون مداه المجتمع في سلوكه الاجتماعي والى جانب المنهج الظاهراتي يقـف مـنهج علـم اجتماع المعرفة، وهو الآخر له ثنائية متوحدة بـين المنهج والعلـم كمـا الثنائيـة بـين

---

(2) مجموعة من الباحثين، دارسات مغربية، دار التنوير للطباعة والنشر، المغـرب العربـي، الـدار البيضاء، الطبعة الاولى، 1985، ص148.

الفهم والقصد في المنهج الظاهراتي والسلوك الاجتماعي والبناء الاجتماعي حينما يتوحدان في مظهر اجتماعي واحد اسمه المجتمع اياً كان مسماه.

ان المهمة الصعبة التي تواجه العلم تتمثل بمقدار التوفيق بين منهجيته، وبين تراثه النظري ولعله لا يوجد علم مثل علم إجتماع المعرفة يتداخل تراثه النظري بمنهجيته الى الحد الذي تجد فيه نظرية علم اجتماع المعرفة منهجاً، كما تجد منهجيته في ذات الوقت تنظيراً.

وقد حاول ايان كريب طرح نظريته الاجتماعية التي تكاد أن تكون توفيقية بين الموضوع المبحوث من حيث المنهج ومن حيث العلم، فلا التزمت بالمنهج حيث يقول "فقد وقفت ضد أي منهج يبالغ في الصرامة، واي محاولة لاستيعاب كل سمات الحياة الأجتماعية ضمن اطار نظري واحد وتفسير نظري واحد، وفي المقابل ذهبت الى ان الحياة الاجتماعية تتكون من ظواهر متعددة الاشكال، وان كل شكل منها بحاجة الى فهم وتفسير نظريين مختلفين عن الاشكال الأخرى"[1].

من جانب آخر طرحت النظرية فكرة الأنسنة لموضوع البحث، متجاوزة فكرة التشييء الدوركهايمية التي تعاملت مع موضوع البحث على أنه حقيقة شيئية طبيعية خالية من الأنسانية* وكأنها شيء خارجي، مما فسح قدرة التعامل مع التنويعة المعرفية فيما يخص النظريات الاجتماعية التي تسعى لتفسير الحياة الاجتماعية من زاوية التغير الاجتماعي، بعبارة أخرى فهم الواقع باعتبار التغير الاجتماعي عاملاً محورياً في التفسير الاجتماعي خاصة وان التغير الاجتماعي

(1) ايان كريب، النظرية الأجتماعية من بارسنز الى هابرماس، ترجمة: محمد حسين علوم، سلسلة عالم المعرفة، ع244 لسنة 1999، ص230.

"يتضمن القدرة على التعامل مع مجموعة من الاحتمالات تقبل الاختلافات القائمة بينها حتى تعارضها التام، وهذه المقدرة يمكن اعتبارها دليلاً على ان التعليم يوسع المدارك حسب القول القديم،... وبهذا المعنى فان تعلم التسامح في التفكير النظري الذي قد يقول شيئا لا نود معرفته،... وهذا التعلم مرتبط بالوسيلة التي قد نتجاوز بها شعورنا بالخواء، اما اذا أسيء فهم النظرية فانه وسيلة لأطالة أمد ذلك الخواء" (1)

ان الذي يمكن استخلاصه من نظرية كريب يتمثل بما يأتي:-

1. عدم التقيد بمنهج صارم وفق قواعد العلم النظري الصارمة جداً الذي فَرَغَ العلم من محتواه الاجتماعي، كما عدم الانجرار وراء الفوضى الى حد يملئ نتائج العمل البحثي ابتسارات ومعاراف مشوهة للواقع الاجتماعي وانه منهج الوسطية العلمية – الاجتماعية.
2. ايمان بالنسبية الاجتماعية وتعدد اشكال الحياة الاجتماعية وايمان بالنسبية المعرفية وقبول عدد من التفسيرات الاجتماعية في آن واحد، وايمان بنسبية الفهم الفردي للباحث من خلال الايمان بالتاريخ والتعدد الفكري للانا والآخر.
3. تقبل فكرة التغير الاجتماعي، فما توصلت اليه من منهج وسط، ومعرفة تم التوصل اليها من خلال تفهم الآخرين قد يغير المناهج والمعارف المعتمدة.

---

(1) المصدر نفسه، ص337.

(*) أي انها مادية تخلو من العواطف والمشاعر الانسانية.

والى جانب تصور إيان كريب تقف نظرية جدنز بشدة في الواقع الأجتماعي أنطلاقاً من تأكيداتها على متغيرات خاصة بالفرد الفاعل في المجتمع وبالواقع الذي يحدد الفاعل بعيداً عن التصورات القبلية وفق منطق الممارسة والاندماج في تفاصيل الحياة اليومية الحقيقية لا المفترضة، ولذلك فقد كان مفهوم الممارسة praxis مفهوماً محورياً في نظرية التشكيل البنائي التي طرحها فَعد نظريته "هي اعادة بناء نظرية حول الذات، لا تحاول ان تحلل الذات الى ابنية لغوية كما فعلت البنيوية ولكنها تنظر الى الذات بوصفها كائناً فاعلاً عاقلاً تتحدد علاقته بالمجتمع من خلال ممارسات مستمرة بحيث يتشكل كل من الفعل والبناء في ضوء الممارسات"(1)

ووفق ذلك فانه يمكن فهم الارتباط الجدلي بين التغير الإجتماعي وبين علم اجتماع المعرفة في ضوء تفسير كريب وجدنز لمفهوم النظرية الاجتماعية، لأن الواقع الاجتماعي وهو واقع حاصل متغير سواء كانت عوامل احتمالات التغيير ذاتية أم موضوعية، داخلية أم خارجية، وفي نفس الوقت يكون من الصعب على العلم الاجتماعي ان يتعامل مع معطيات التغير الإجتماعي على أنها متغيرات شيئية يغيب عنها التفسير الذاتي الذي عليه أن يكون أحد أجزاء الذات الفاعلة – جزء من المجتمع المبحوث. وهو في هذا، فوق الموضوعية، بأعتقاده، بقيم المجتمع الذي يبحثه، ولذلك فليس من المعقول أن يتم الفصل بين المنهج والنظرية في علم إجتماع المعرفة "لا شك أن هناك فاصل بين المنهج والعلم من غير علم اجتماع المعرفة. الا

(1) احمد زايد، آفاق جديدة في نظرية علم الاجتماع – نظرية تشكيل البنية، المجلة الأجتماعية – القومية، يصدرها المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، مجلد 33، ع1و2، سنة 1969، ص69.

أن هذا الفاصل هو ما يغيب عن علم أجتماع المعرفة وهذه هو طرح كارل مانهايم في الايدلوجيا واليوتوبيا الذي يتبناه الباحث على أقل تقدير.

الى جانب ذلك أعتمد الباحث المنهج المقارن في دراسته لاستعراض نتائج دراسة ماجستير صدرت عن قسم علم الأجتماع في نفس العام (2010) حملت عنوان ألحراك الاجتماعي وتداعياته على المجتمع العراقي بعد الاحتلال الامريكي بنتائج الدراسة التتابعية في مرحلة الاحتلال الامريكي وقد اقتضى هذا الامر من الباحث معالجة مفهومي الاعداد الأجتماعي والمثال القيمي من جانب وجودها التاريخي وكتوجه قيمي تقليدي حكم المجتمع العراقي ومحاولة تبني آلية تفسير اجتماعي لمجمل السلوك الأجتماعي من خلال الرمزية التي عبرت عن مراحل متباينة مر بها المجتمع، وتتبع اشكال حراكه الأجتماعي منذ ق20 حتى فترة الاحتلال الامريكي وذلك وفق تحديدنا للمباحث على النحو الذي ذكرناه في المقدمة.

الفصل الأول

الإعداد الاجتماعي والبناء القيمي

(المثال القيمي)

الفصل الأول

الإعداد الاجتماعي والبناء القيمي (المثال القيمي)

يتضمن الاعداد الاجتماعي تهيئة الفرد ذهنياً، واجتماعياً ليكون شخصاً قادراً على العيش بمنطق المجتمع الذي يحتضنه، وجوهر الاعداد سلسلة من العلاقات الشخصية المتبادلة والمتشابكة[1] التي يمثلها الشخص خلال حياته العملية، وتنطوي عملية التهيؤ على الاعداد المثالي، التجريدي، التي يفترض أن تنعكس في الجانب السلوكي، ويمارس المثالن دور المقياس الاجتماعي الذي تقاس به العمليات الاجتماعية، ويتحدد بموجبه تبادل العلاقات وتشابكها.

تتفاوت درجات التدخل بالنسبة للقائمين بعملية الاعداد، يتفاوت التأثير الذي يمارسه (المثال) في حياة الشخص، فالشخص الذي تمثل المثال واندمج فيه، هو غير الشخص الذي لم يأخذ من المثال سوى الشكل.

يتضمن (المثال) محورين يكونان من التداخل والتشابك يصعب مع تداخلهما الفصل بين امتداداتها العلاقاتية وهما: طبيعة السلوك والقيم. تنقسم طبيعة السلوك الى قسمين: الاستطاعة والمعرفة وهما يعكسان مرحلتي التنشئة الاجتماعية التي يمر بها الفرد، ففي مرحلة الاستطاعة يتعلم القيم بموجب التوجيهات التي يتلقاها من الوالدين. وسمة هذه المرحلة التقبل، والقدرة على تمثل السلوك المتمخض عن قيم غايتها، والمعرفة المتضمنة لها معرفة محدودة لا تستطيع تجاوز الحدود الاجتماعية

(1) اورفيل برم، التنشئة الاجتماعية بعد الطفولة، ت د. علي الزغل، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان – الاردن، الطبعة الأولى، 1988، ص16.

المرسومة لها، وذلك بحكم كون المرحلة العمرية التي يعيشها الفرد تتمثل بمرحلة الطفولة والشباب وهي مرحلة تعلم اجتماعي وحسب، بينما تتضمن المعرفة المرحلة السابقة بما هو متمخض عنها. ومن اضافات معرفية نظرية وعملية زرودته بها الحياة، فاصبح الشخص يتاثر الى حد ما بمواقفه اللاشعورية التي اكتسبها منذ طفولته[1] وبذا تتميز مرحلة المعرفة بالارادة واللاشعور من خلال الاعداد الاجتماعي وبمعرفته الاجتماعية التي تتجاوز التقليد والمحاكاة الى تعديل في معايير القيم دون ان يكون هذا التعديل والتبديل خروجاً على جوهر القيمة ذاتها.

يعكس الإعداد الاجتماعي (المثال القيمي) نمط الثقافة الاجتماعية للمجتمع الذي يتولى رعايته. وهنا يجب ان نميز بين مثال قيمي رئيسي وامثلة قيمية فرعية، الاخيرة تعكس الجيوب الاجتماعية ضمن الثقافة الرئيسة ولكل مجتمع اعداده الاجتماعي الذي يميزه بما يتمخض عنه من سلوك، له اثاره في المجتمع.

ومما يميز الإعداد الاجتماعي هو الفعل المقصود الذي تقوم به الاسرة والمدرسة بشكل خاص. والفعل غير المقصود الذي تظهر اثاره نتيجة مركز الفرد ودوره الاجتماعي في مناشط الحياة اليومية. تسهم هذه العناصر الاجتماعية بتأثيراتها في توجيه الفرد وتشكل شخصيته وسلوكه. ولما كانت هذه العناصر تختلف في طبيعتها من بيئة الى اخرى فاننا نفهم من ذلك الاختلاف في سلوكيات

---

(1) د. قيس النوري، ملامح الواقع الذهني في مجتمعنا، مجلة كلية الاداب، جامعة بغداد، العدد 25 سنة 1979، ص411.

الافراد ذوي الخلفيات الاجتماعية المتباينة انه يعود الى الاختلاف في طبيعة الاعداد الاجتماعي الذي تعرضوا له[1].

يتطابق في الغالب نمط المثال القيمي مع السلوك الذي يسلكه الشخص، ولكن في ظل الظروف الاستثنائية تستجد انماط عمل وظواهر اجتماعية جديدة تقتضي سلوكاً لم يعهده المجتمع قبلاً، والضرورة تدعو بروز (مثال قيمي) يلائم تلك الظروف. وغالباً ما يكون الظرف الطارئ قائماً على المنفعة الفردية، مبتعداً عن المصلحة العامة وتكون المدينة اكثر تقبلاً لنمو (مثال) الظرف الطارئ عن الريف. لاتسام طابع حياتها الاجتماعية أصلاً بضعف التفاعل، فيشهد الواقع الاجتماعي واقعاً ذهنياً ونفسياً جديداً يعتمد على منافسة الافراد بعضهم بعضاً حيث يسعى كل واحد منهم الى ارضاء تلك المعايير[2] وطوال الظرف الطارئ يجعل من قيم ومعايير اعداده الاجتماعي، تمتاز بشبه الثبات النسبي، الذي قد يزاحم (المثال القيمي التقليدي)، وبالتالي فان اثاره ستبقى تمارس دورها بصورة جزئية على المجتمع بعد زوال الظرف الطارئ، وقد يساهم هذا باعداد جيل على اقل تقدير على نمطه، وباختصار فان وظيفة الاعداد الاجتماعي هي تحويل المادة الانسانية الخام في المجتمع الى اعضاء عاملين جيدين. ومحتوى هذه العملية يمكن اعتباره تحليلياً يشمل فهماً لكيان المراكز في المجتمع، ولمواصفات الدور والسلوك المصاحب للمراكز المختلفة في هذا الكيان[3].

---

(1) علي عبد الامير، البيروقراطية والاعداد الاجتماعي في العراق، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1977، ص131.

(2) د. قيس النوري، ملامح الواقع الذهني في مجتمعنا، مصدر سابق، ص398.

(3) أورفيل برم، مصدر سابق، ص11.

يرسم الإعداد الاجتماعي، الخارطة الاجتماعية للمراكز الاجتماعية، وفي ضوء استقرار عمليات الاعداد يمكن توقع مكانات الافراد الاجتماعية والمهنية، ومن طبيعة الاعداد الاجتماعي في المجتمعات الريفية والتقليدية تميزه بالاستقرار بسبب من تركيب الشخصية الريفية التي تمتاز بعمق العواطف الانساني والثقة والاعتماد المتبادل ووضوح الواجبات والادوار المطلوبة منهم مما يدعم تكامل الشخصية ويرفد اسسها الذهنية والانفعالية[1]، بينما نلمس في الاعداد الاجتماعي للمدينة حركية، نابعة من أن ما ينظم السلوك الفردي في المدينة هي القوانين واللوائح ورجال الشرطة والمحاكم والسجون والساعة واشارات المرور[2]، مما يعنيه ضعف الرابطة العاطفية، وقوة العلاقة الرسمية القائمة على المنفعة الشخصية فيكون الحراك الاجتماعي في المدينة أوضح صوراً منه في الريف.

وللحروب والازمات أثر كبير في الحراك الاجتماعي، فهي كلما خلفت (مثال قيمي) جديداً فانها بالضرورة قد عملت على تغيير كثير من الاتجاهات النفسية، وما ترتب عليها من تغيير في الاتجاهات المهنية وقد شهد المجتمع العراقي نمطية ثابتة في ظروفه الطبيعية، انعكست على مثاله القيمي الذي وافق بجوهره الحراك الاجتماعي المميز بالاستقرار النسبي، ومجرى تغيره كان رئيسياً، ومخططاً له، في حين كانت طبيعة الحراك الاجتماعي في ظل ظروفه الاستثنائية التي اوجدت (مثالاً قيمياً) يلائم متغيراتها المتعددة، متميزاً بالحركية، فشهد ظهور كثير من

(1) د. قيس النوري، افاق التغير الاجتماعي النظرية والتنموية، مصدر سابق، ص67.

(2) ينظر: د. مصطفى الخشاب وآخرون، اصول علم الاجتماع، لجنة البيان العربي، بدون تاريخ.

الاتجاهات المهنية، وانماط عمل، وانتقالات رأسية وافقية، ساهمت في خلق ثقافة اجتماعية قائمة على عنصر التبرير للسلوكيات الاجتماعية للافراد.

نخلص من ذلك ان هناك جدلية اجتماعية ما بين الاعداد الاجتماعي والحراك الاجتماعي، وعلاقتهما بالواقع الاجتماعي الخارجي للمجتمع، وهي تترتب ترتيباً تنازلياً او تصاعدياً في الثقافة الاجتماعية لمنطق السلوك الاجتماعي وما تستدعيه من وجود هوية معينة للحراك الذي يقتضي اعداداً اجتماعياً (مثالاً قيمياً) ينشيء الجيل.

الفصل الثاني
مسيرة الحراك الاجتماعي في المجتمع العراقي

الفصل الثاني

مسيرة الحراك الاجتماعي في المجتمع العراقي

لو درسنا التركيب السكاني للمجتمع العراقي في منتصف القرن التاسع عشر لادركنا بوضوح مبلغ تاثير القيم البدوية فيه[1]، وان واقعه الذهني، واقعاً جمعياً، تتضاءل فيه الفردية، حتى لا نجد لها ادنى الملامح التي بدأ (نورها يبزغ مع نهاية الحرب العالمية الثانية)[2]، ومن ينبوع توجهه الجماعي نبعت عمليات الاعداد الاجتماعي التي يمكن تلخيصها بانها كانت تحدد دورين راسيين، هما دورا الرجل والمرأة حين عظمت دور الرجل ومكانته منذ مرحلة الطفولة التي تحاول ان تجعل منه (سبعاً) على حد مقولة الوردي، وتحمله اعباء المسؤولية الاجتماعية، الامر الذي صيره ذو قيمة ايجابية؛ وقلصت دور ومكانة المرأة[3]، وجعلتها تابعة للرجل، فانطبعت بكونها ذات قيمة سلبية.

عكست هاتان القيمتان موقعي الرجل والمرأة، ومن خلالهما طبيعة الوضع الاجتماعي، فحظيت مكانة الرجل بالاولوية بسبب الاوضاع الحضارية التي احاطت بالعراق منذ سقوط بغداد وحتى قيام الحكم الوطني. فقد كان مجمل

---

(1) د. علي الوردي، الفرضيات الثلاث حول المجتمع العراقي، جريدة القادسية، العدد 1861، 22 حزيران، 1986.

(2) ينظر. د. علاء الدين جاسم البياتي، المرأة والتغير الاجتماعي في القطر العراقي، مجلة كلية الاداب، العدد 25، شباط، 1979.

(3) ينظر. د. علاء الدين جاسم البياتي، المرأة والتغير الاجتماعي في القطر العراقي، مصدر سابق.

الظرف قائماً على اساس العصبية التي كان وجودها ضرورياً في سبيل المحافظة على الكيان الاجتماعي وعملت كل قيمة على تعزيز القيمة الاخرى، بما تحمل من سلطة، تدعم مكانتها، فتمخض عنهما نمط الاستاتيكية في الشخصية العراقية، واصبح كل من الرجل والمرأة يمارس دوره على وتيرة واحدة. لقد ارتكز الاعداد الاجتماعي في المجتمع العراقي على هذا الاساس فالمظهر الأول لتاثير الاسرة كجماعة على السلوك الانساني هو دورها في تشكيل شخصية الفرد التي تمثل خصائصه وصفاته والتي تعمل على توجيه السلوك وتحديده[1]. ويعد الخروج عن النمط العام لطبيعة هذا الاعداد الاجتماعي، ضرباً من الانحراف الاجتماعي الذي لا يرتضيه المجتمع[2]، ولذا فقد كان الحراك الاجتماعي يتميز بالافقية والجمود، والانتقال من مركز الى مركز لا يتم الا سلفاً، ومعد له من قبل الهيئة الاجتماعية للجماعة غير الرسمية، كما راعته التنظيمات الرسمية، فمدرسة الصناعة في مدينة كركوك التي اسست في عشرينات هذا القرن، فُضِّلَ ان يحصر أمر قبول طلبتها بابناء العمال في شركة نفط العراق[3]، واقصى درجات الحراك الاجتماعي كانت تتمثل بالحصول على الوظيفة الحكومية، وهو امر قد ساهمت فيه الهجرة من الريف الى المدينة، فشهد المجتمع العراقي خلال اواخر العقد الخمسيني والعقد الستيني الذي

(4) د. علي السلمي، مقدمة في العلوم السلوكية، دار المعارف بمصر، ط1، 1968، ص248.

(5) د. علي الوردي، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، ص343–344.

(1) عبد الغني الدلي واخرون، احوال العراق الاجتماعية والاقتصادية، مطبعة الزهراء، بغداد، ط1، 1953، ص194.

شهد انتفاضات وثورات لاصلاح الوضع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، استاتيكية في حراكه الاجتماعي[1].

إن التغير في المجتمع العراقي بدا منذ اصلاحات مدحت باشا، ونامق باشا، عززها الانكليز عندما دخلوا العراق وبدا العمل بنصب السكك الحديدية واستثمار النفط خلال الحرب العالمية الاولى، وقد جلبوا معهم اعدادا كبيرة من المهندسين والعمال الماهرين لانجاز مشاريعهم[2]، وان كانت فئة العمال هم اكثر الفئات احتكاكاً بالانكليز بحكم العمل الذي ربطهم بهم، وكان لظروف الحرب العالمية الثانية والوعي السياسي والانفتاح الثقافي الذي شهده القطر الاثر في احداث التغير في تفكير الرجل العراقي التقليدي الذي سمح للمرأة بالعمل خارج المنزل، وهو يعد من اوضح مؤشرات الحراك الاجتماعي في الخمسينات، حيث بدأت تتغير مكانة المرأة المرسومة لها سلفاً وان كان التغير في القطر لم يكن من العمق بحيث انه احدث تغيرات اجتماعية كثيفة في نظام القيم التقليدية[3].

وقد اظهرت دراسة عن قيم المجتمع العراقي في اواخر العقد الستيني أن هناك نوعاً من عدم الانسجام ما بين القديم والجديد، حيث بلغت نسبة 15٪ من المبحوثين من نادوا بالمحافظة على القيم الخلقية، والتقاليد والعادات الموروثة[4]، وهي نسبة قليلة جداًن بل ان قياسها احصائياً يشير الى ان ثلاثة ارباع المجتمع

(1) المصدر نفسه، ص247.

(2) د. كمال مظهر احمد، الطبقة العاملة العراقية، دار الرشيد للنشر، بغداد 1981، ص50.

(3) د. علاء الدين البياتي، المرأة والتغير الاجتماعي...، مصدر سابق، ص554.

(4) د. مسارع الراوي وآخرون، القيم الاجتماعية ومشكلات المجتمع العراقي، مطبعة الحكومة، بغداد، 1969، ص70.

العراقي ممن يؤمن بالقيم الجديدة التي جاء بها التغير، ولكن الحقيقة ان النسب 28٪، 25.7٪، 21.3٪ من المبحوثين كانت تؤكد على قيم الشهامة والشجاعة والجرأة والتمسك بالشعائر الدينية والتسامح الديني والمحافظة على الشرف والغيرة والتماسك بين افراد الاسرة وسيطرة رب الاسرة، ونجدة الضعفاء وحسن الجوار[1]. وهذه القيم في مجملها قيم قبلية بدوية، ومن هنا فان الـ 85٪ وهي النسبة المكملة لـ (ال 15٪) هي ممن يتمسك بالقيم التقليدية، ولعل دعوتهم الى الايمان بالتغير القيمي كان يتمثل برغبتهم في احلال قيم جديدة جوهرها القيم التقليدية نفسها، اما اشكالها الظاهرة فحديثة، كما تشير هذه الدراسة الى حالة التهيؤ النفسي لدى المجتمع العراقي لقبول التغير الاجتماعي وبالتالي الرغبة في حركية اجتماعية توفر لهم الاطمئنان الاجتماعي والاقتصادي خاصة بعد قيام الدولة بتخطيط الاطر المعروضة لهيكل الصناعة في العراق وتشييد مختلف المشاريع الصناعية[2]، فانتشرت القيم الاجتماعية التي تلائم الوضع الاقتصادي الجديد، واصبحت الاعتبارات الشخصية التي كانت تلعب دوراً في التركيب القروي خارج دائرة التفاعل ما دامت لا تناسب مبدأ الربح والمنفعة[3]، الذي اصبح من القيم الاقتصادية ذات الطابع البارز في الحياة الاجتماعية العراقية واصبحت ظاهرة الاستهلاك المظهري في طليعة المعايير الفاعلة في الحراك الاجتماعي، فهي علامات

---

(1) د. مسارع الراوي وآخرون ، المصدر السابق، ص71.

(2) د. احسان محمد الحسن، التصنيع وتغيير المجتمع، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986، ص16.

(3) د. قيس النوري، ملامح الواقع الذهني في مجتمعنا، مصدر سابق، ص393.

مرئية محسوسة يسهل استعمالها في التقييم الاجتماعي السريع والمباشر لتحديد مراكز الناس بحسب ما توحي به درجات السمو أو الصعود المالي[1].

كانت طبيعة الحراك الاجتماعي خلال العقدين السبعيني والثمانيني من هذا القرن نتيجة تخطيط مدروس ومحسوب سعت له حكومة الثورة، وهو حراك قائم على اساس التحصيل المعرفي، واصبح تمجيد الذات وتعظيمها من سمات المجتمع العراقي الحديث، وان كان تمجيد الذات هذا تم ضمن اطار المجتمع وليس مفردة عنه، والحراك الاجتماعي المخطط له غالباً ما تكون انعكاساته ايجابية، ومهما تكون سمات آثاره فهي تخرج بالمجتمع من واقعه الاني، الى افاق اوسع من البناء والتقدم الاجتماعي، فهي تخرج من حدود كونها اداة في يد القلة الى ان تصبح اداة في يد الجماهير بقطاعاتها العريضة[2] التي تصبغ تخطيطها بالطابع الجماعي، واضحى مبدأ المشاركة الاجتماعية من اهم المبادئ الحية التي انعكست على العلاقات التوزيعية والاجتماعية في العراق[3]، فالحراك الاجتماعي الذي شهده المجتمع العراقي قبل العقد التسعيني حراك مخطط له ومدروس نبع من الاعداد الاجتماعي (المثال القيمي) الذي لم يكن في جوهره سوى تقاليد وقيم بدوية تكيفت معاييرها للوضع الاجتماعي ابان النهضة الاجتماعية والعمرانية التي اخذت الدولة على عاتقها، تخطيطها، وتنفيذها، وكان التنبؤ بالمستقبل يمكن استجلاؤه بسهولة في حالة بقاء الظروف الطبيعية قائمة، فالمثال القيمي مُيسّر وينظم الافراد، وطالما اتسم الوضع الاجتماعي العراقي بالثبوت النسبي والتخطيط المدروس لتغيره وفق مبادئ

(1) المصدر نفسه، ص393.

(2) د. مسارع الراوي، مصدر سابق، ص63.

(3) د. قيس النوري، افاق التغير الاجتماعي، مصدر سابق، ص364.

المثال القيمي، فان التنبؤ بالمكانات والادوار اصبح امراً مفروغاً منه، من هذا المنطلق اتسم الحراك الاجتماعي خلال تلك الفترة بالقبول والرضا الاجتماعي، كما انه لم يكن في حقيقة الامر تغيراً مادياً ملموساً، وتغييراً بسيطاً على المستوى العلاقاتي، يمكن ان ندعوه (التغيير البسيط) تكيفاً قيمياً استدعته الظروف المستجدة، ولعل مؤشر اختيار الزوجة يدعم مقولتنا هذه، فما زال السلوك والخلق الحسن[1] في مقدمة معايير الاختيار، ولم يكن لبقية المعايير الاخرى من تعلم، ومستوى اقتصادي، ومكانة مهنية عالية للمرأة اية قيمة تذكر اذا ما انتفت قيمة الخلق والسلوك الحسن.

من جانب اخر اتسم هذا الحراك بطابعه المتشابك مع تغيرّ في مكانة الشخص العلمية يصحبه تحسن في مكانتيه الاجتماعية والاقتصادية وبذا فقد خلق الحراك الاجتماعي توازناً اجتماعياً، ومن هنا جاء اختلافه عن الحراك الاجتماعي في العقد التسعيني. حيث شهد المجتمع العراقي ظرفاً استثنائياً، ترتب عليه وضع اقتصادي صعب بما فرض عليه من حصار جائر بسبب من سياسته القومية، فكان (الحراك الاجتماعي خلال هذه الفترة) حراكاً ارتجالياً احدث خلخلة في النظام الاجتماعي، وحمل قيماً نفعية بحتة هي غير مبدا الربح والمنفعة في الحراك الاجتماعي قبل العقد التسعيني، بحيث اصبح المردود المالي، هو المسير لطابعه العام دون ان تكون للاعتبارات الاجتماعية التي حافظت على بقائها اثر رادع في مواجهة مده.

سمة حراك العقد التسعيني الاجتماعي، التبريرات الاجتماعية للانماط السلوكية، وشهدت القيم والتقاليد انحساراً، فالأخلاقية الاقتصادية لا تخضع للفكر

(1) عائدة سالم محمد الجنابي، المتغيرات الاجتماعية والثقافية لظاهرة الطلاق، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1983، ص139.

الروحي حسبما يذكر ماكس فيبر، ذلك ان العوامل الاقتصادية والسياسية تمارس تأثيراً عظيماً على افعال الحياة لمختلف الشرائح الاجتماعية باعتبار هذه العوامل تمثل جوانب الحياة الواقعية[1] التي تقتضي سلوكاً نفعياً، خاصة في ظل ظرف استثنائي يصبح فيه من الصعب تأمين الحاجات الاساسية.

واذا كان الحراك الاجتماعي قبل العقد التسعيني قد سار بموجب المثال القيمي بما حمله من مفاهيم اجتماعية تميزت بطابعها العاطفي التضامني، لا يلائم ثقافة المرحلة الراهنة، فغير الافراد من اتجاهاتهم القيمية في سبيل تأمين الجانب المعيشي، فتغيير الاتجاه واحلال اخر محله يتوقف على مدى التوافق بين هذا الاتجاه الجديد وباقي الاتجاهات الاخرى التي تكون التنظيم الاتجاهي للفرد[2]، فالظرف الاستثنائي الذي عاشه المجتمع العراقي بما صاحبه من هجوم اعلامي ضخم معادي، وسلوك فعلي سلكته القوى الامبريالية، وبما تمخض عنه من وضع اقتصادي صعب، ابرز ملامحه التضخم الاقتصادي، واصبح المعروف عن هذا الظرف انه ساهم في تغيير تفكير الفرد العراقي ولم يكن عندئذ من سبيل الاخلق (مثال قيمي) جديد يأخذ على طابعه تسيير الحياة الاجتماعية، قام في جوهره على اساس ان المعيار المالي، والكسب الاقتصادي هو المقياس الامثل، لقياس السلوك الاجتماعي. فحل هذا المعيار محل (الاستهلاك المظهري) الذي استخدم كمقياس للسلوك الاجتماعي في العقدين السبعيني والثمانيني.

---

(1) اينوروزي، جدلية علم الاجتماع بين الرمز والاشارة، تأليف: د. قيس النوري، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1988، ص82-83.

(2) د. علي السلمي، مقدمة في العلوم السلوكية، مصدر سابق، ص227.

الا ان القبول الاجتماعي لهذا المثال القيمي الجديد لم يكن مطلقاً لاعتبارين أولاً حداثته، وانه ما زال في طور التكوين، مخالفته بعض متغيرات المثال القيمي القديم، إلا ان الأخذ به لم يكن له من مَفَرْ فما كان من افراد المجتمع العراقي أنذاك إلا اللجوء للسلوك الرمزي ليزاوجوا ويوافقوا ما بين شكلي المثالين القيمين وكي يمرروا ما اتفقوا عليه معنى وربما اختلفوا عليه تفسيراً أو تصوراً أو سلوكاً بحكم متغيرات عديدة ربما كانت الحاجة الاقتصادية في مقدمتها. ومعلوم عن الرموز الاجتماعية انها "تكتسب شرعيتها بمجرد ان يُعترف بها، وتفرض قوتها كسيادة تستدعي الاعتراف كحقيقة رأس المال"[1]، او حقيقة الرموز الدينية وليست مصدر السيادة الفوقية لها، الرموز، وانما مصدر سلطتها دخولها في علاقات التوافق وعلاقات التعارض التي تُكون منظومة العلاقات المميزة التي تحدد تشكيلة اجتماعية جديدة امتازت بالسرعة"[2] التي غيرت ليس امكانات الافراد الاقتصادية ومن ثم الاجتماعية وفق المقاييس العقلية او القيمية المنطقية، وانما غيرت المفهوم العلاقاتي في عملية التقييم الاجتماعي، واذا كان الحراك الاجتماعي قبلاً فيه نوع من التشابك ما بين انساقه البنائية فالتحسن في المكانة الاقتصادية يرافقه بالضرورة تحسن بالمكانة الاجتماعية، فان الحراك الاجتماعي الراهن قد انطوى على نتيجة عكسية، فالنجاح الاقتصادي الذي حققه الفرد هنا مبتور في كثير من الاحيان عن النسق الاجتماعي

---

(1) الفكر العربي المعاصر، مجلة العلوم الأنسانية والحضارية، ع41، سنة 1986، مركز الأنماء القومي، بيروت؛ بيير بورديو، الراسمال الرمزي والطبقات الاجتماعية، ترجمة: عبد السلام عبد العالي، ص41.

(2) المصدر نفسه، نفس الصفحة.

فتمتع ازاء هذا الوضع الكثير ممن يحتلون مراكز اجتماعية واطئة بامكانات اقتصادية جديدة منحتهم مكانة اجتماعية وليس مجرد احترام اجتماعي مصدره الاقتصاد.

يذهب علماء الأجتماع التفسيريون الى القول بان الواقع الأجتماعي لا يعدو ان يكون عملية رمزية تولده الافعال والمعاني المشتركة المنسوبة اليها وهذه العمليات الرمزية تصور ممارسات مقبولة وذات أثر فاعل في يوميات الأفراد[1] يمكن ان تشكل هذه الافعال ومعانيها مثلاً عليا واقعية وتقويمية حسب ما يذهب الى ذلك اميل دوركهايم في المثل الواقعية يكون المثل الاعلى رمزاً للشيء على النحو الذي يجعل من هذا الشيء، أمراً، يمكن ان يدركه الفعل بينما المثل التقويمية يكون الشيء رمزاً للمثل الاعلى على الوجه الذي يجعل تصور هذه المثل امراً ممكناً[2]، والاستشهاد برمز لتوضيح هذه القاعدة يظهر علاقة التصور الذهني بالموقف الاجتماعي ذي البنيتين القيمية والسلوكية، فالكرم كأحد المثل الواقعية يشكل مثلاً اعلى يشكل رمزاً للمرؤوة التي هي شيء. والواقعية هنا تتمثل بالمظهر السلوكي للشيء المرموز اليه وهو المرؤة بينما المثل التقويمية، يكون المرموز اليه نفس (المرؤة) رمزاً للشيء (الكرم)، وفي هذه المثل (التقويمية) نقوم ونقيس السلوك، وفق سلوك المرموز اليه الذي اضحى رمزاً.

هذا التحليل الدوركهايمي للرمز الاجتماعي، شكل تصنيفاً اعتمده التفاعليين الرمزيين في تصنيفاتهم للسلوك الرمزي بكونها تجريبية او غير تجريبية، صورية، او

(1) عبد الله بن مسعود الطويرقي، مناهج البحث التفسيرية في دراسات الاتصال التنظيمي، حولية كلية الانسانيات والعلوم الأجتماعية، جامعة قطر، ع18، سنة 1985، ص362.

(2) اميل دوركهايم، علم اجتماع وفلسفة، ترجمة: د. حسن انيس، مكتبة الانجلو-مصرية القاهرة، الطبعة الاولى، 1966، ص166.

ذات جذور اجتماعية[1]، ذلك ان هذه الاصناف لا تخرج عن الاطار التصنيفي لدوركهايم، وهي في مجملها تصورات لمواقف اجتماعية تحمل صفة الجودة او الرداءة والايجابية او السلبية، ويتكرر استعمالها. فتثبت هذه الصفات في عقول وافكار الافراد وتصبح وظائف اجتماعية يقوم بها اعضاء المجتمع.[2]

ان للرموز قواعد بنائية تتشكل في ضوءها. وقد تمثل الراي والموقف الاجتماعي. القاعدتان البنائيتان الرئيسيتان في تشكل الرمز فالتصور الذهني المقرون بالوعي لفعل اجتماعي مارس قسراً فيزيقياً او ثقافياً، (وبالاتجاه المقابل)، ان الفعل الاجتماعي ذي صفة القسر الفيزيقي او الثقافي افرز تصور ذهني مقرون بوعي اجتماعي. هذا التداخل المتعاكس للتصور الذهني والموقف الاجتماعي، حصيلة علاقة اجتماعية متمثلة بالخط الرمزي وقد شكل جزء من المعرفة الاجتماعية التي لا تتضمن الالغاز الغامضة والاحداث غير المألوفة، بل ما هو متكرر وعام وشامل يشترك معظم الافراد في فعله[3] تمخض عنه الرمز الاجتماعي الذي يعبر عن خصائص مشتركة لجاميع هائلة من الافكار وتصبح دراسة الرمز الأجتماعي دراسة للواقع السلوكي والولوج في بحثه يعني استوضاح مضامين الفعل الأجتماعي والوقوف على متغيراته.

---

(1) د. معن خليل عمر، نقد الفكر الاجتماعي، المعاصر، دار الافاق الجديدة، بيروت، ط1، 1982، ص175.

(2) المصدر نفسه، ص190.

(3) معن خليل عمر، علم اجتماع المعرفة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، 1991، ص231.

وقد مرَّ مثال الظرف الاستثنائي القيمي بمرحلتي الاراء والمواقف. فالراي اتجاه اجتماعي يتبناه الافراد لفترات قصيرة، وتعكس الشعور العام السائد، ولذلك فانها تستجيب للتغيير متأثرة بالدعاية او بالمنطق[1]. وقد امتدت هذه المرحلة خلال السنوات الثلاث الاولى من الحصار الجائر. وكانت الاراء في تغيير مستمر بين تحسن الوضع الاقتصادي وعدم تحسنه، اثناء انعقاد مجلس الامن لمناقشة موضوع الحصار، وتلت هذه المرحلة، مرحلة المواقف التي يتمثل فحواها بان الحياة القلقة تبد أنها حالة طبيعية، فلا بد من اتخاذ اراء اكثر ثبوتاً بغض النظر عما تذيعه وسائل الاعلام. تعكس اذن مرحلة المواقف الوعي باستمرارية الظرف الاستثنائي، وغالباً ما يقترن هذا الوعي بالطموح والرفض للتغييرات الاجتماعية.

فكان وعياً من واقع افضى الى تصور ذهني شكل رموزاً اجتماعية-لغوية اصبحت متداولة بين افراد المجتمع العراقي. وأخرى اجتماعية-مادية، وقامت الامثال الشعبية التي صكها المجتمع رموزاً لها دلالاتها اللغوية-الرمزية على سبيل المثال مَثل [الشغل موعيب] وهو تبرير استخدم من قبل الذين يعملون بعد الدوام الرسمي خاصة الموظفين والمعلمين ويقرهم المجتمع على هذا الاصطلاح بعد ان كان العمل محظوراً على هاتين الفئتين حتى مطلع التسعينات من القرن العشرين.

اما الرموز الاجتماعية-المادية فبفعل الحصار لجأت الدولة الى الزراعة من أجل سد حاجتها الذاتية فقامت بتقديم الدعم لفئة الفلاحين حتى اصبح الفلاح بما يملكه من رصيد مالي رمزاً لتلك المرحلة.

---

(1) د. اسماعيل علي سعد، الراي العام بين القوة والايدلوجية، ج3، دار النهضة العربية- بيروت، 1988، ص148.

اذن فقد قام عنصر الوعي لدى العراقين بمدى المصلحة المتحققة من أي سلوك يقتضيه في سبيل تأمين الجانب المعيشي، والمصلحة شكل من اشكال الرواسب التي تلعب الدور المؤثر في عملية التوازن الاجتماعي.

تمثل الرواسب الدوافع الحقيقية للسلوك الانساني، سواء كان هذا السلوك اقتصادياً او غير اقتصادي حسبما يرى باريتو[1]، والموقف الاجتماعي الذي يتمخض من الوعي يعكس حقيقة الراسب بجوهره من غير رتوشات اجتماعية، وليس ادل على حقيقة الموقف الاجتماعي للفرد العراقي من سلوكه، فسلوك الشخص العراقي ضمن الفترة الراهنة سلوك مصلحي نفعي يأخذ بحسبانه بالدرجة الاولى اشباع حاجاته الاولية بغض النظر عن مثاله القيمي التقليدي الذي يتعارض ومنهجه السلوكي.

يتمثل الراسب ايضا بالطموح، وخاصة بتحقيق الكسب الاقتصادي في ظل (مثال الظرف الاستثنائي القيمي) وعلى هدى معاييره. أما ما نلاحظه من رفض لهذا (المثال القيمي) الذي غالباً ما يمتاز بالتجريد اللغوي وحسب، فهو ما يدعوه بارتيو بالمشتقات التي هي التبريرات العقلانية والمسوغات الفكرية للسلوك الاجتماعي كي تدعم شرعيته بحيث يكون مقبولاً ومتوافقاً مع حقيقة الوضع الخارجي[2]، وبذا ينطوي السلوك الاجتماعي التبريري على مضموني الرفض والتبرير. فالشخص يقوم بالفعل مدفوعاً بعواطفه، وهو في نفس الوقت يبدي رغبته في تفسير افعاله بانها حصيلة قوة المنطق[3]، ومنطق الحاجة الملحة لدى

(1) د. احسان محمد الحسن، علم الاجتماع الاقتصادي، جامعة بغداد، 1990، ص54-56.

(2) المصدر نفسه، ص54-56.

(3) اينو روزي، مصدر سابق، ص123.

العراقيين المتمثلة بتأمين الأمن المعيشي في هذا الظرف التي تدفعهم دائماً الى تبني التبريرات التي يكون معظمها تعليلات مبنية على التجريب.

تضمن الحراك الاجتماعي في ظل الظرف الاستثنائي انتقالات اجتماعية سريعة سواء من ادنى الى اعلى او بالعكس. كما انه لم يحض بالقبول الاجتماعي في ظاهره العام وان تمثله المجتمع وشكل رموزه اللغوية منها والمادية-الاجتماعية وهو ما سنكتشفه في المعادلة النفسية-الاجتماعية ذلك ان المكانات الاقتصادية الجديدة لم تنعكس اهميتها الا ما تميز منها باعلى قيمة وظيفية في ضوء تشكل ثقافة جديدة[1].

وقد عبر عنها برمزية اجتماعية عكست في واقع الحال: واقعه الاقتصادي-المعيشي (صعب التحصيل والتأمين)، وواقعه النفسي ومن الدعم الاجتماعي الذي يطلب الالتزام ببقايا المثال القيمي القديم، والنضال برغبة او قسر لأقرار مثاله القيم الجديد.

ومن اجل استجلاء صورة العقد التسعيني وما رافقه من ظهور ثقافة جديدة كانت الى حدٍ واضح مختلفة عن ثقافة السبعينات كما الثمانينات من هنا نجد بدأ من استعراض تشكيل الرمز الاجتماعي الذي رسخ المضمون النفسي والاجتماعي للمثال القيمي الجديد.

(1) جيرالد بويز، مجتمع المدينة في البلاد النامية، ترجمة: د. محمد الجوهري، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1989، ص101.

الفصل الثالث

تشكيل السلوك الرمزي والمعادلة السلوكية

(الأجتماعية- النفسية) .

الفصل الثالث

تشكيل السلوك الرمزي والمعادلة السلوكية

(الأجتماعية- النفسية)

يمكن القول ان آلية تشكيل السلوك الرمزي تتحدد بعاملين هما التصور الذهني والموقف الاجتماعي.

1- التصور الذهني

ليست الرموز الا تصورات ذهنية جمعت الابستولوجيا وعلم اجتماع المعرفة في ميدان البحث العلمي-الاجتماعي، واذا كانت الابستمولوجيا تنتدب نفسها للبحث في صلاحية هذه الرموز، فان علم اجتماع المعرفة يتجه الى بحث الاطر الاجتماعية[1] لها. يقول دوركهايم عن التصورات انها ظواهر واقعية ذات خصائص نوعية يتصرف بعضها بأزاء البعض الاخر على وجوه شتى طبقاً لما يكون بينها او لا يكون من خصائص مشتركة[2]. ولا شك ان هناك علاقة جدلية ما بين التصورات الاجتماعية، والوقائع الاجتماعية او الافعال الاجتماعية. واذا كانت الافعال الاجتماعية ذات زخم كمي فان التصورات عنها، ذات طابع معنوي، تنعكس في الرموز الاجتماعية التي تجيء ممثلة لها، فالسلوك الرمزي يرمي الى تكثيف الافعال والوقائع الاجتماعية من خلال الادراك الذي هو تبيان للعلاقة بين

---

(1) د. محمد وقيدي، ما هي الابستمولوجيا، دار الحداثة، بيروت، ط1، 1983، ص ص206-209.

(2) اميل دوركهايم، علم اجتماع وفلسفة، ترجمة: د. حسن انيس، مصدر سابق، ص38.

الذات والغرض[1] باتخاذه احدى الصور التي قد تكون سلوكية-فعلية او لفظية او اشاراتية او ذهنية. ان الادراك ديمومة موضوعية تعني ادراك الشيء[2] والديمومة تواصل معرفي بين الشخص المدرِك للفعل وبين الفعل، والمعرفة لا تتشكل لو لم يكن هناك علاقة تاثير وتأثر ما بين الفعل الاجتماعي والشخص المدرَك له، هذه العلاقة التاثيرية تكون من العمق والقوة حتى لتمتد من الجانب النفسي في ذات الفرد الى الصعيد السلوكي وبانقطاع هذا التواصل يتحول الادراك الى ملاحظة لا تتضمن (العلاقة التأثيرية) يبديها الشخص ضمن اطار التفاعل الحياتي العادي خلال حياته اليومية. من ناحية اخرى في حالة انقطاع التواصل المعرفي لا تتحقق البداهة التي هي نمط من انماط الشعور ذو تميز خاص... يعطي لنا في ذاته شيئاً من الاشياء[3]. فعنصراها حسب تحديد ادموند هوسرل: (الديمومة الموضوعية، والديمومة الداخلية). وهما اللذان يحققان الترابط الكامل للتفاعل الاجتماعي الايجابي منه والسلبي في حالة تفاعلهما لم يحققا التفاعل.

والديمومة الموضوعية تعني النتاج المعرفي للعلاقة الاجتماعية ما بين الفرد والفعل الاجتماعي، حيث ان الفعل الاجتماعي هنا يمثل حقيقة شيئية لها وجودها، وتفاعل الفرد معها، يعني علاقة تحمل صفة التبادل على مستويين:

---

(1) ينظر. ريمون بودرن، مناهج علم الاجتماع، ترجمة: هالة شبؤون الحاج، منشورات عويدات، بيروت، الطبعة الاولى، 1972، ص20-24 .

(2) ينظر. ادمون هوسرل، تأملات ديكارتية، ترجمة: تيسير شيخ الارض، دار بيروت، 1958، ص118-154.

(3) المصدر نفسه، ص46.

الأول: مستوى الفكر الايجابي وانعكاسه على السلوك الاجتماعي. والايمان الفكري لمجمل اثار الفعل الاجتماعي يحدو بالفرد الى امتثاله سلوكياً.

الثاني: مستوى الفكر السلبي وانعكاسه على السلوك الاجتماعي، واللايمان الفكري بالفعل الاجتماعي يجعل الشخص رافضاً الامتثال له سلوكياً وتقر العلاقة التبادلية لهذين المستويين بوجود العقل الاجتماعي كشيء خارجي له تميز خاص.

بينما تعني الديمومة الداخلية عملية الشعور لادراك الشيء، أي تضمين السلوك الاجتماعي شعور الفرد، أو تضمين شعور الفرد السلوك الاجتماعي. هذا التضمين يعني العلاقة الذاتية لتفاعل الفرد بالفعل الاجتماعي، وينسحب التضمين الشعوري فيصبح تمثيلاً بالمعنى المسرحي عند (غوفمان) وهو يتولد عن منظومة من رسوم الى الادراك والتقدير التي تتولد بدورها عن وضعية معينة[1] فرضها الوضع الاجتماعي.

حالة تفاعل الشخص مع الفعل الاجتماعي اذن قد تجلت في صور الادراك كما انها الشيء معبر عنه شعورياً. وتقوم الرموز هنا بوظيفة البدائل للعمليات الاجتماعية التي تشكل المصدر الاساسي لعملية المعرفة[2]. وعنصراً البداهة: (صور الادراك والتضمين الشعوري)، يحققان الوعي للفعل الظاهر وهو مظهر

(1) الفكر العربي المعاصر، بيير بورديو، الراسمال الرمزي، مصدر سابق، ص48.

(2) د. قباري محمد اسماعيل، علم الاجتماع والفلسفة، نظرية المعرفة، ج2، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ط1، 1989، ص154 .

معين لكل سلوك بشري يستتبع تقسيم العمل وفق رؤية (لوسيان غولدمان)[1]، فجاء الوعي هنا نتيجة لعملية اجتماعية اقتضاها المنطق الاقتصادي، وهو تقسيم العمل، وميدان المنطق الاقتصادي هو الميدان الاجتماعي فالعلاقة ما بين تقسيم العمل والوعي المترتب عليه، هي ذاتها ميدان الفعل الاجتماعي، صيرورة التفاعل الاجتماعي، ان كل "واقعة اجتماعية هي من بعض جوانبها الاساسية واقعة وعي[2] كما ان كل وعي هو قبل كل شيء، تمثيل ملائم لقطاع معين من الواقع على وجه التقريب[3]. هذا يقضي الى توصيل المعرفة المتحققة عن الفعل الاجتماعي، الى اطراف التفاعل الاخرى، فيتحقق التفاعل الاجتماعي عن طريق العمليات الذهنية التي تشكل التصور الذهني حيث تتشكل التصورات الجمعية، بفعل التفاعل بين الافراد[4]، وهنا يظهر، كون الرمز الاجتماعي صورة جمعية تحمل صفة الاكراه كخصصة من خصائص الموقف او الواقع الاجتماعي، ونجد الافراد ازاءها امام مفترق طريقين: اما الامتثال لقانون السلوك المختزل في الرمز، او الرفض واللاامتثال لهذا السلوك، ونذكر ان رفض الفرد، تأكيد لصفة الاكراه الرمزي، اذ لا يمكنه ان يرفض شيئاً غير موجود، من جانب اخر فان الرفض لا يعدو ان يكون سلوكاً سلبياً خاصة اذا كان هذا السلوك مقر من قبل المجتمع عامة.

---

(1) لوسيان غولدمان واخرون، البنيوية التكييفية والنقد الادبي، راجع ترجمة محمد سبيلا، مؤسسة الابحاث العربية، بيروت، ط1، 1984، ص33.

(2)لوسيان غولدمان واخرون، البنيوية التكييفية والنقد الادبي ، المصدر السابق، ص35.

(3) المصدر نفسه.

(4) اميل دوركهايم، مصدر سابق، ص5.

2- الموقف الاجتماعي:

يعد الموقف الاجتماعي العامل الثاني (الاخير) في ظهور الرمز الاجتماعي وهو يتشكل من مجموع الافعال الاجتماعية والظروف الخارجية.

اما الافعال الأجتماعية فهي تنطوي على بعدين يتمثل الأول بالبنية القيمية ويتمثل الثانية بالبنية السلوكية، تؤثر هاتان البنيتان ببعضهما وفق منطق العلاقة التأثيرية حتى "تتدامج ضمن بُنيات تحتويها وتشكلها"[1].

وليست البنية القيمية إلا ذات امتداد للتصور الذهني، وإذا كان الاخير وعياً للسلوك فان القيم هي الاطار التجريدي لهذا السلوك، فالتداخل ما بين القيم التي هي مثلاً عليا جمعية "لا يمكن أن تتكون ويشعر الناس بوجودها الا اذا ارتبطت باشياء يستطيع ان يراها الناس"[2]، وما بين الوعي الذهني النابع من ذات الفرد للوجود الخارجي لهذه الاشياء، هذا التداخل يرسم الطرف الأول من معادلة الفعل الاجتماعي والتي يقوم التفاعل الاجتماعي على اساسها[3].

بينما تكون البنية السلوكية-الاسهام التجريبي في تعزيز الفعل الاجتماعي وهي استمرار فعلي لتصور ذهني لافراد المجتمع. وجل الواقع الجمعي "ناتجاً لدوال ورموز وسلوكيات الافراد فيه"[4].

---

(1) لوسيان غولدمان وآخرون، مصدر سابق، ص47.

(2) اميل دوركهايم، مصدر سابق، ص164.

(3) ج. اسيبوف، قضايا علم الاجتماع، ت: د. سمير نعيم احمد و د.فرج احمد فرج، دار المعارف بمصر، 1970، ص109.

(4) حولية كلية الانسانيات، د. عبد الله بن مسعود الطويرقي، مصدر سابق، ص359؛ وينظر ايضا، معن خليل عمر، نقد الفكر الاجتماعي، مصدر سابق، ص190.

الفعل الاجتماعي يجري ضمن ظروف اجتماعية، يمكن ان نصطلح عليها بالظروف الخارجية، كونها تشكل ميدانياً خارجياً عن الفرد سواءاً كان (الميدان) قيمياً ام فيزيقياً للفعل الاجتماعي، وهو لِماَ يتعرض له من تغير قد يساهم في تشكيل الفعل الاجتماعي، وفق المتغيرات. وهو ما يذهب اليه التفاعليون الرمزيون حينما يفسرون الحياة الاجتماعية حيث يرون "بان القائمين بالفعل ACTORS يكونون ويعيدون تكوين علاقاتهم المتبادلة بصورة مستمرة، كما انهم يعدلونها او يتخلون عنها تبعاً الى مقتضيات الظروف والاحوال" [1].

يمكن القول ان حاصل تفاعل التصور الذهني والموقف الاجتماعي افضى إذن الى سلوك اجتماعي له خصائصه المميزة كظرف استثنائي.. ركائزه الواقع الاجتماعي الصعب بسبب ظروف الحصار ومضمونه النفسي كميل مستقر للاستجابة لطائفة معينة من التاثيرات على نحو معين [2].

وسلوكه الاقتصادي كعمل عقلاني يقوم به الفر د عند اقتناء حاجاته الضرورية الكمالية [3] وربما تميز سلوكه الاقتصادي احياناً في اللاعقلانية لاسباب خارجة عن ارادته على سبيل المثال شرائه البضائع ذات الفكاءة القليلة رغم علمه بذلك بسبب تدني او رخص سعرها على سبيل المثال.

---

(1) د. قيس النوري و دز عبد المنعم الحسين، النظريات الاجتماعية، وزارة التعليم العالي، جامعة بغداد، 1985، ص244.

(2) ادمون هوسرل، مصدر السابق، ص146.

(3) ج. اسيبوف، مصدر سابق، ص105.

ان تفاعل الفعل الاجتماعي والظرف الاجتماعي يشكلان:-

(1) الاستجابة الذاتية على المستوى الفردي المتمثلة هنا بالشعور الذاتي والتي تتحول الى استجابة اجتماعية بحكم الانتظام الذهني للافراد على مستوى المجتمع، والمتمثلة هنا بالفعل الاجتماعي.

(2) الثقافة الاجتماعية او معرفة الحياة الايومية المتولدة عن ذاتي من داخل التنظيم الاجتماعي.

يتضح ان التفاعل الاجتماعي عملية ذات جانبين هما الاستجابة للوسط[1] والتاثير فيه من ناحية، ومن ثم اختزال العملية التفاعلية برموز ذات معاني اجتماعية من ناحية ثانية. وتفاعل الفعل والظروف يشيران الى اجتماعية سلوك الفرد، فالكائنات البشرية كما يعتقد جورج هربرت ميد "لا تتصرف اتجاه بعضها البعض بصورة مستقلة، لانها اجزاء من مجاميع ومجتمعات يوجد اتفاق عام بين اعضاءها حول الانجاز المناسب للادوار الاجتماعية المختلفة[2]، التي، تكون من التنوع والاختلاف والكثرة، ما يكون من الصعب تمثلها جميعاً ودفعة واحدة، لذا فان الرمز الاجتماعي للنمط السلوكي جاء تكثيفاً واختزالاً لكم هائل من الانماط السلوكية، في صيغ فكرية او مادية حملت المعاني الاجتماعية التي عبر عنها الافراد في سلوكياتهم الاجتماعية.

يمكن القول ان حاصل تفاعل التصور الذهني والموقف الاجتماعي افضى إذن الى سلوك اجتماعي له خصائصه المميزة لظرف استثنائي، ركائزه الواقع

---

(1) د. قيس النوري و د. عبد المنعم الحسني، النظريات الاجتماعية، مصدر سابق، ص260.

(2) ينظر اينو روزي، المصدر السابق، ص100-102.

الاجتماعي الصعب، بسبب ظروف الحصار، ومضمونه النفسي كميل مستقر للاستجابة لطائفة معينة من التاثيرات نحو معين[1] وسلوكه الاقتصادي، كعمل عقلاني يقوم به الفرد عند اقتناء حاجاته الضرورية والكمالية[2] وربما تميز سلوكه الاقتصادي احياناً باللاعقلانية لاسباب خارجة عن ارادته على سبيل المثال شرائه البضائع ذات الكفاءة القليلة رغم علمه بذلك بسبب تدني او رخص سعرها.

ولقد تميز السوق العراقي قبل عقد التسعين بالاستقرار والثبات بفضل السياسة الاقتصادية التي تبنتها الدولة فما متوفر في السوق كان يشبع الحاجات الاساسية، وبأسعار مساوية لمستوى الدخول.

ولم يكن اقتناء الحاجات يتم بجهود مضنية، تؤدي على خلق ميول ودوافع نفسية غير طبيعية بالنسبة للافراد، حيث ان هذه الميول والمواقف تبرز الى السطح، في حالة بذل جهود كبيرة للحصول عليها.

ان الارتباط الحاصل بين الثبوت أو الاستقرار والتغير وصعوبة الفصل بينهما دفع ذوي الاختصاص إلى استخدام مصطلح "التوازن الحركي" للتعبير عن الازدواج بين الثبات والتغير في وقت واحد[3].

والمتفحص للسوق العراقي اثناء الحصار الجائر، يالف ديناميــة التوازن الحركي، فاستقرار وثبات لفترة معينة وجيزة يعقبه تغير، وليست دواعي هذا التوازن دواعي اقتصادية بحتة، وانما دواعيه اقتصادية ممزوجة بدواعي سياسية تختلقها الإمبريالية الامريكية، فنجم عن هذا التوازن الحركي لا استقرار نفسي لدى

(1) حنا غالب، التربية المتجددة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1970، ص446.

(2) معن خليل عمر وآخرون، المدخل الى علم الأجتماع، جامعة بغداد، دون تاريخ، ص222.

(3) د. قيس النوري، آفاق التغير الاجتماعي النظرية والتنموية، مصدر سابق، ص16.

جميع المواطنين تجاه الوضع الاقتصادي ترتب عليه (أي الوضع النفسي اللامستقر) سلوك اقتصادي ذي تميز كفافي بالنسبة لذوي الدخول المحدودة، وسلوك اقتصادي ذي تميز تجاري بالنسبة لاصحاب الاموال.

لقد كان من نتائج التوازن الحركي ان نجمت هوّة بين ذوي الدخول المحدودة وبين ذوي الدخول اللامحدودة، وقد تعمقت هذه الهوّة نتيجة طول فترة الحصار الجائر، وسعى كلا الطرفين إلى التعامل مع وضعه الاقتصادي والاجتماعي والنفسي تعاملا قصديا، حيث ان السلوك القصدي "ينجم عن حث داخلي نحو غاية معينة... وان كانت القصدية فيه احيانا غير مشعور بها"[1] فالطرف الاول سعى إلى تأمين لقمة العيش وسد الرمق، والثاني يعمل من اجل تنمية ثروته، وكلّ يسعى إلى المحافظة على وضعه لا شعوريا.

أن التغيرات المستمرة يمكن ان تؤدي إلى زعزعة الشخصية التي هي حصيلة مجموع الدوافع والانفعالات، وان كل دراسة للمحور الاجتماعي لا يمكنها ان تهمل المحور النفسي المتأطر بالجانب الشخصي.

وكان من آثار الحصار على السلوك الاقتصادي ان تشكلت معادلة سلوكية يمكن ان نطلق عليها تسمية المعادلة الاجتماعية-النفسية (مضمونها مجتمعي-شخصي).

يمكن ان نقول عنها انها في مجموعها شكلت سلوكاً رمزياً ميز عقد التسعينات لأنطوائها على مبادئ الشعور والعقل والوعي كما الموقف الاجتماعي وهي

(1) د. حنا غالب، مصدر سابق، ص340.

مقومات وركائز السلوك الرمزي على النحو الـذي بحثنـا في آليـة تـشكيل الـسلوك الرمزي.

يتميز السلوك الشخصي من كونه نابع من دخيلته متجاوزاً قدر الامكان كـل تفاعل اجتماعي يجنبه احراجاً اجتماعياً خاصـة فيمـا لا يـستطيع الايفـاء بالتزاماتـه الاجتماعية بسبب عوزه الاقتـصادي فيعمـل أولاً علـى اشـباع حاجاتـه الاساسـية والأتيان بسلوك اجتماعي يتوافق ومجمل الظرف الذي يعيش فيه خاصـة في المدينـة التي تبرز فيها المنفعة الفردية، وهذه بحد ذاتها مشكلة كبيرة عاشـها العراقـي عمومـاً فهوم من جهـة محكـوم بمنطـق المنفعـة الفرديـة ومطالـب في ذات الوقـت بـالالتزام الأجتماعي. وهو موقف طبيعي على حد ما في ظل العيش ضمن المرحلة الانتقالية ما بين الحضرية والريفية التي يعيشها عالمنا العربي عموماً وهو إن كان طبيعيـاً بحكـم المنطق الإجتماعي وان حكمه منطقة الحصار الذي أحذ يبرر لكثير من الـسلوكيات التي لم تعد تتلائم والمنطق الأجتماعي التقليدي، من هنا تشكل طرف المعادلة الأول الذي ينص على دور الدوافع في تحديد اشباع الحاجة ضمن ظرف معين متحرراً من متطلبات ومحددات مركزه الاجتماعي.

وكانت استجابة المجتمع إزاء السلوك الموجـه تمثـل الطـرف الثـاني للمعادلـة، الاجتماعية-النفسية، وهي استجابة جبرية خارجية تأخذ هيأة التكيـف الاجتمـاعي المتضمن عنصر التفاعل الاجتمـاعي، وممـا يـدلل عليـه (التكيـف الاجتمـاعي) أن البشر يميلون إلى التعامل مع الحالات المستجدة كما لو كانت تناظر، مـا يقابلـها مـن الحالات التقليدية[1]، ويلازم هذا التكييف صفتان.

(1) د. قيس النوري، آفاق التغير الاجتماعي النظرية والتمويه، مصدر سابق، ص161.

الأولى: تضامنية صورية.

الثانية: نفسية سلوكية.

الأولى تأخذ صيغة الرفض التضامني، معبراً عنه لفظياً، تجاه سلوك السوق فالكل يبدي عدم رضاه تجاه سلوك التجار وتجاه الباعة، وتجاه غلاء الاسعار ومن ضمن الرافضين التجار والباعة أنفسهم، وهو رفض صوري وليس فعليا، في حين ان الثانية المتمثلة باللااستقرار النفسي تحفز الجميع سلوكياً على القيام بأنماط عمل هي عكس ما يقولون.

في صيغة تبرير لغوي وهو في واقع الحال تبرير اجتماعي اتخذ من اللغة قاعدة اساسية يؤطر بها فعله، ولغته (المجتمع العراقي) هي ليست لغة منفصلة عن الواقع الاجتماعي، بل إنها لغة تفاعل مع الموقف الاجتماعي، وتذهب إحدى عالمات اللغة الاجتماعية إلى أنه "عندما يبني متكلم قولاً يمكن أن يكون اختبار السمات اللغوية، ومشكلتها ووظيفتها مشروطاً بجملة من المعطيات غير اللسانية تلك الماثلة في الواقع الخارجي، والماثلة أيضا في فكر المتكلم أو في مشاعره ذاتها"[1]، وكتب باحث آخر يعزز ذلك التفاعل بين الكلمة والفعل الاجتماعي "أن استعمال شكل لغوي يحدد سلسلة من المعاني فيمكن لوضع (فوري) قبول سلسلة معاني.... وعندئذ يصفي الوضع المعاني المحتملة بالنسبة للشكل اللغوي غير تلك التي يمكن لهذا الوضع ذاته قبولها إذ يتوقف المعنى الحقيق مع تفاعل الشكل اللغوي والوضع"[2].

(1) جوليت غارمادي، اللسانة الاجتماعية، مصدر سابق، ص85.

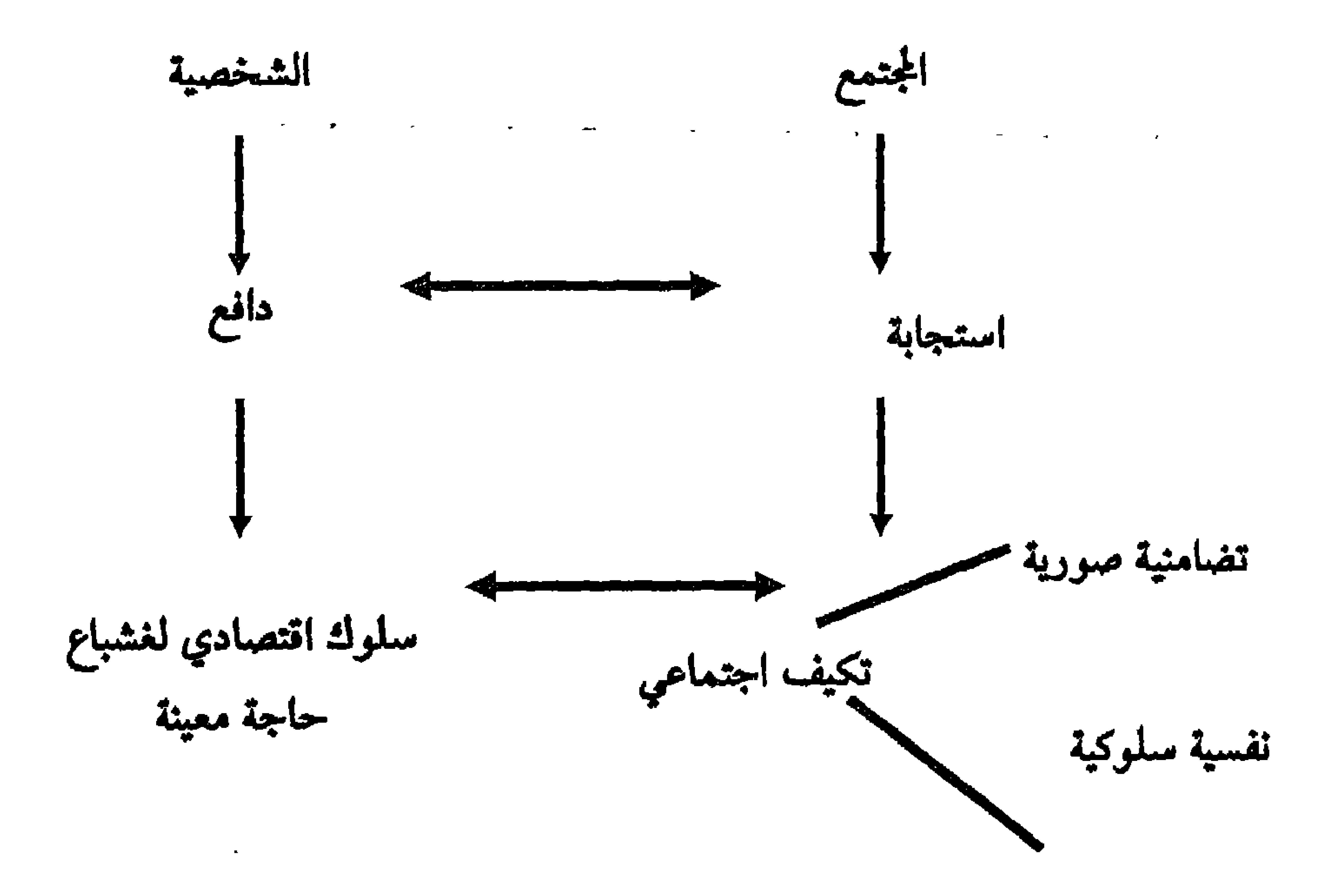
(2) المصدر نفسه، ص86.

ان تبرير مفهوم لغوي يظهر التفاعل بشكل واضح بين الاسلوب الكلامي وحاجات الناس، فحينما تستخدم مفردات التبرير كأدوات للتعبير عن معطيات الواقع الخارجي والحاجات النفسية الماثلة في نفوس الافراد القائمين بالفعل الاجتماعين يتجلى تفاعل الكلمة مع الموقف.

وحينما نفحص السلوك الاجتماعي بشكل عام فإننا نجده لا يخرج عن هذه الحقيقة ويتفق مع هذا الرأي (هالويل واريكسون) في اعتقادها بأن حقيقة الثقافة تكمن في مجال الادراك المعرفي.

لقد كشفت الملاحظة المباشرة وبالمشاركة من أن التبرير اللغوي للواقع الاجتماعي، أسلوب دفاعي يستخدمه الشخص لتحقيق الأمن النفسي، يحاول أن يتحصن به الفرد في ظل الظروف الاستثنائية التي يعيشها.

المعادلة الاجتماعي – النفسية



تكشف المعادلة النفسية- الاجتماعية في حقيقة الامر ان ثقافة المجتمع وقيمه لا تحددها البنى الهيكلية، كما لا يحددها الافراد كل على حدى بل في تكاملهما مع بعضهما، لقد اصبحنا الان مستعدين لمفهوم التشكيل البنائي الذي يقوم على فكرة مؤدها ان تشكيل الفاعلين والابنية ليسا ظاهرتين مستقلتين (أي ثنائية) ولكنهما تمثلان ازدواجية فالخصائص البنائية للانساق الاجتماعية هي بمثابة وسيلة ونتيجة للممارسات التي تنظمها وبصورة متكررة او ان لحظة انتاج الفعل هي ايضا لحظة اعادة انتاجه في سياق الاحداث اليومية للحياة الاجتماعية[1].

وهو ما يتجلى في استجابة المجتمع ودوافع الشخصية العراقية الذي افرز تكيفاً اجتماعياً تضامنية صورة ونفسية سلوكية وفي سلوك اقتصادي لاشباع حاجة ترتب عليه ممارسات وسلوكيات اجتماعية حاولت ان تتبنى ابنية قيمية هي ليست من انتاجه الكلي ولكنها اكتملت به فعبر عنها نمطياً بسلوكه الاجتماعي فكانا كلاهما واحداً الفرد يتصرف ليشبع حاجاته وبالمقابل المجتمع يبرر تلك السلوكيات.

ولما كانت الخبرات الاجتماعية أو السلوك عموما يعمل على دعم وتحقيق استجابة للمواقف الاجتماعية والنفسية فان توكيد هذا السلوك هو دعم للبناء الاجتماعي ولكن مما يلاحظ على صعيد الظروف الاستثنائية أو الحرجة "إن الخبرات إذا حصلت قبل أو بعد هذه الفترات الحرجة، اضعف التأخر أو التقدم الاستجابة المرغوب فيها أو ابطلها[2] وفي هذا إضعاف لانساق البناء الاجتماعي، ومن هنا فإن دراسة الخبرات الاجتماعية المتولدة أثناء هذه الظروف يؤدي بنا إلى تشخيص أنماط سلوك هذه الظروف.د

---

(1) مصطفى خلف، مصدر سابق، ص447.

(2) د. حنا غالب، مصدر سابق، ص217.

وعند تجوالنا في الاسواق الشعبية القريبة من البيوت السكنية، وعند مرورنا بالطرق العامة نرى هنا وهناك باعة المفرد، منهم من افترش الارض وراح يدلل على بضاعته، ومنهم من اقتنى عربة صغيرة أوقفها محاذاة الطرق الرئيسية حتى كانت هذه الظاهرة تبدو مالوفة للعامة، وفي حال عودتنا لواقع المجتمع العراقي قبل العدوان الثلاثيني أي قبل الحصار الجائر نلاحظ أن ظاهرة البيع المفرد كانت حصرا على اصحاب الدكاكين، وقلما تجد بائعاً مفرداً يبيع من بيته أو تجد صاحب عربة متجولة، كما نلاحظ ان هذا العمل ان وجد فقد كان حصراً على فئات محددة في المجتمع تمتاز للفقر المدقع وهي قليلة جداً نظراً لمتانة الوضع الاقتصادي والرخاء المعيشي الذي وفرته حكومة الثورة.

أما اثناء الحصار فان شيوع هذه الظاهرة يمثل استجابة لمستجدات وضع جديد، وهو يمثل طرف المعادلة الثاني (الشخصي) من اجل تحقيق الأمن النفسي بوجود مصدر رزق ثان يضاف على مصدر الدخل الاصيل الذي لم يعد يفي بغشباع الحاجات، وتمثل حالة القبول الاجتماعي لهذه الظاهرة استجابة نفسية لكل فرد تأخذ شكل مقياس اجتماعي لطبيعة المحددات الثقافية لهذه المرحلة،مشكلة بذلك طرف المعادلة الأول (المجتمع).

وبامتثال الفرد ورفضه يشكل تفاعلاً اجتماعياً رمزياً والتعامل مع الرمز بصفة الامتثال يزيد من تعميقه، واللاامتثال يزيد من اعطائه صورته وشكله لانه يجعل منه (الرمز) طرفاً في معادلة المقارنة، وهذا يعني الاعتراف بكونه يشكل جزءاً مستقلاً له ابعاده المميزة.

وهذا يكشف عن تحقق للوعي بالظرف الاجتماعي فيتحقق بذلك التفاعل الاجتماعي وفق الادراكات والقناعات المعرفية لطبيعة السلوك الاجتماعي فيتحقق

عندئذ الحكم القصدي المتضمن في معنى المفكر به عن طريق تمثل الادراكات التي انضجها الوعي وعكسها سلوكياً في الواقع الاجتماعي، واشكال الوعي مرتبط "بمحتوى التجربة والتجارب هي توجيه الانتباه نحو اشياء حقيقية كانت أو خيالية، مادية أو مثالية، وكل هذه الاشياء تكون مقصودة"[1] فيتسنى للافراد ادراك السلوك من خلال رمزيته "ومعنى ذلك ان هناك مواقف تثير الفكر الانساني من ناحية كما ان هناك من ناحية اخرى استجابات جاهزة من السلوك وانماطاً سابقة من الفكر بفضلها يستطيع الانسان ان يواجه تلك المواقف خلال حياته الاجتماعية"[2] هذه المواقف استناداً الى راي التفاعليين الرمزيين[3] بحكم تكرارها وترسخها في ذهن الافراد تكون الاساس في تشكل الرمز الاجتماعي الذي يصبح ممثلاً لها (المواقف الاجتماعية) حاملاً معانيها المتعددة، وجهد العقل الاجتماعي الجمعي في تنظيم هذه المعاني المستحصلة من التجربة هو من جانب اخر ظاهرة مكملة لعملية الادراك[4]

استتبع هذا النشاط الذهني، تشكل التصور الذهني الذي جاء نتيجة ادراك ووعي من قبل الافراد للسلوك الاجتماعي، وهو لم يكن تصور ميتافيزيقياً، وانما تصور واقعي للافعال الاجتماعية التي مارست قسراً فيزيقي أم ثقافي، هذا التصور يعد العامل الاول من العوامل بزوغ الرمز الاجتماعي في الحياة الاجتماعية.

---

(1) المجلة الجزائرية للاتصال، د. عبد الرحمن رمزي، مصدر سابق، ص139.

(2) د. قباري محمد اسماعيل، علم الاجتماع والفلسفة، مصدر سابق، ص148.

(3) ينظر: د. معن خليل عمر، نقد الفكر الاجتماعي المعاصر، مصدر سابق، ص189-190.

(4) جون جاردنز، تجديد الذات، ترجمة احمد حمودة، دار الكرنك للنشر، 1967، ص118.

طبيعي ان تتفاوت ثقافات الافراد المعرفية بمستوياتهم الاجتماعية، وان كانت تحكمهم قيم حضارة المجتمع الواحدة، الا انه بفعل التفاوت يكون التعبير عن الحقيقة الاجتماعية متبايناً كل فئة او شخص ينظر اليها من زاوية ثقافته الفئوية او الشخصية، ويكون التوفيق بين وجهات النظر المتباينة من خلال التنميط الرمزي للسلوك الاجتماعي الذي يجعل بالامكان التبادل الاجتماعي وانسيابية المعاني الاجتماعية، ذلك ان الرمزية سمة اساسية لا يستطيع البشر الاداء بدونها حتى عندما لا يكونون على علم او وعي بالقوانين الرمزية لنشاطهم الذهني حسبما يرى ليفي شتراوس(1).

ان الكثير من الظواهر التي افرزها الحصار ليست إذن سوى مركبات ثقافية مرحلية ارتبطت بالاتجاهات الذهنية من سياسية الى اقتصادية الى اجتماعية افرزها الظرف الاستثنائي في صيغ رمزية عمل المجتمع على اقرارها لاشباع حاجات استجدها الظرف الاستثنائي، فحاول بناء مثاله القيمي الجديد الذي لم يدم طويلاً بسبب احتلال البلد من قبل امريكا في 9/ 4/ 2003.

(1) اينو روزي، مصدر سابق، ص164.

الفصل الرابع
العراق مطلع الاحتلال الامريكي

الفصل الرابع

العراق مطلع الاحتلال الامريكي

لقد عانى العراقيون من الحصار الذي استمر ما يزيد على العقد أشد العناء خاصة منه الضنك الاقتصادي وشحة المواد والأدهى من ذلك الحالة النفسية السيئة ولقد نجح الحصار حقيقة في زعزعة الثقة بالنفس بالنسبة للعراقي على العموم وقد تمخض عن كل هذا تغييراً في المعرفة الأجتماعية انعكست بدورها في البناء الاجتماعي للمجتمع العراقي فما كاد القرن الواحد والعشرين يدخل حتى شنت الولايات المتحدة هجومها الهمجي فسقط العراق في 9/ 4/ 2003 وقد احدث ذلك تغييراً كبيراً في الخارطة السياسية والاقتصادية والثقافية ولم تكتفي الولايات المتحدة بهذا فقط بل سعت الى اقرار تغييرات في التركيبة الاجتماعية والديموغرافية.

ووضح منذ الايام الأولى للاحتلال انه باقٍ لفترة ليست بالقصيرة وانه سيعمل بما لا يقبل الشك على احداث تغيير في الفكر الاجتماعي العراقي.

وكانت مشكلة دراسة التغير الاجتماعي بعد مضي أكثر من سنة وبشكل تتابعي لمدة ثلاث سنوات فكرة وجدها الباحث طيبة من باب توثيق للفكر وللموقف الاجتماعيان في العراق وبالتالي تعد دراسة توثيقية في مرحلة من اصعب مراحل حضارة المجتمع العراقي وبالتالي حضارة الامة العربية في الوقت الحاضر.

ونظراً للظروف الامنية والسياسية والاجتماعية الصعبة التي عاشها العراق مطلع الاحتلال فقد ارتاى الباحث القيام بدراسة التغير الاجتماعي على عينة من المجتمع العراقي ولان فكرة الدراسة كانت القيام بدراسة التغير الاجتماعي بطريقة

تتابعية فقد اقتضى الامر الاعتماد على عينة ثابتة دون سواها فلجأ الى تحقيق ذلك الى طلاب القسم الذي ينتسب له، فقام بتوزيع الاستمارة الاستبيانية في نهاية كل سنة دراسية أثناء فترة الامتحانات النهائية وقد كان لذلك دواعي منها :

1. أن مصدر الأجابات يكون ثابت مما يعطيها مصداقية، فيما لو كانت الأجابات قد جاء من مصادر متباينة
2. وحدة البنية الذهنية على الأقل في المستوى الدراسي مما يعطي انسيابية في الأجابة.
3. توزع الطلبة بشكل جيد على جميع مناطق مدينة الموصل بجميع مستوياتها الشعبية والمتوسطة، ومن خارج الموصل أقضية ونواحي، ناهيك عن طلاب المحافظات فقد كان هناك طلاباً من بغداد وديالى وكركوك والانبار.

بلغت عينة البحث 24 مبحوثاً. وفي واقع الحال ان هذا العدد لم يكن نفسه خلال سنوات البحث المتابعة. ذا بلغ عددهم في العام الدراسي 2004 / 2005 31 طالباً (مبحوثاً).

وفي العام الدراسي 2005 / 2006 تم توزيع الاستمارة فأتضح أنه قد نقل طالب واحد الى جامعة أخرى واستشهد آخر، وترك الدراسة ثالث، فتم استبعاد ثلاث استمارات بطريقة عشوائية من عدد استمارات العام الدراسي 2004 / 2005 البالغ عددها 31، فاصبح عدد الاستمارات الاستبيانية للعامين الدراسين 2004 / 2005 – 2005 / 2006 28 استمارة.

وفي العام الدراسي 2006 / 2007 تم توزيع 28 استمارة استبيانية، استلم الباحث منها 24 استمارة، اذ أن ثلاثة طلاب لهم تركوا الدراسة بعد منتصف السنة بسبب الاوضاع الامنية، والاستمارة الرابعة كانت فارغة، فتم أعتماد ذات الطريقة الأولى باستبعاد 4 استمارات بطريقة عشوائية للعامين الدراسيين 2004 / 2005 و 2005 / 2006، ليصبح عدد الاستمارات لجميع الاعوام الدراسية 24 استمارة وقد تم اعتماد طريقة الاسقاط العشوائي لغرض فني بحت من أجل تحقيق الدقة الاحصائية في نتائج النسب المئوية.

كما اعتمد الباحث الاستماراة الاستبيانية كأحد أدوات البحث الرئيسية، وبعد أجراء الاستمارة الاستطلاعية تم أعتماد الاستمارة النهائية، وقد تم عرضها على جميع اساتذة قسم علم الاجتماع – جامعة الموصل – كل من يحمل لقب مدرس واستاذ مساعد.

وقد ارتى الباحث حذف محور البيانات الاساسية من الاستمارة، اثناء التحليل، اعتقاداً منه باهيمة التغاضي عن جميع الخلفيات الأجتماعية والاقتصادية والديموغرافية والايكولوجية من التحليل والاكتفاء بمتغير واحد – هو عراقيتهم – وأخضاع تصوراتهم لتحليل المحاور انطلاقاً من ذلك.

وربما كان دافع العلم هو السبب في هذا الاستبعاد لتجاوز ما أفرزه الاحتلال من بعض الحساسيات فيما بين الاقليات أو المذاهب، كما لا يخفى دافع المواطنة العراقية في ذلك.

ان المجتمع العراقي شان كل مجتمع يتشكل من انساق اجتماعية واقتصادية وسياسية ودينية وثقافية، زاد عددها عن ذلك أو نقص، اتخذ مسميات غير هذه المطروقة او لم يتخذ، تبقى الحركة الاجتماعية تسير ضمنها، معبرة عن نفسها في

أنمطة ذهنية، تعبر عنها بـالمفردة اليوميـة وبالـسلوك الاجتمـاعي الرتيـب لكـل فـرد خلال يومه الذي يفتتحه ويختتمه بالفراش ليستجمع قواه لليوم التالي.

وهذا ما سيكشفه تحليل محاور البنـاء الإجتمـاعي للمجتمـع العراقـي أثنـاء تحليل إجابات المبحوثين على الاستمارة الاستبيانية وعلى النحو الأتي :

المحور الإجتماعي

شهد المجتمع العراقي تغييراً سياسياً عسيراً كانت القسرية صفته الأولى بكـل مداليلها النظرية والعملية ولقد وجد المجتمع العراقي نفسه أمام هـذه القـسرية امـام مفترق طرق، المقاومة، أو الاستسلام، رفض الذي جرى، أو الرضوخ له، أمام هذه المفترقـات تـسربلت عمليـات الـتغير الإجتمـاعي في بنيـة العلاقـات الإجتماعيـة العراقية، ولعل ملاحظة الجدول رقم (1) توضح لنا طبيعة هـذا الـتغير، الـذي بـدأ وكانه تغيراً كان من نتاج الفكر الذي افرزه الاحـتلال وقـد كـان حـسبما يوضـحه الجدول متماشياً وطبيعة الفكر الإجتماعي لبنية المجتمع العربي فـشهد تغـيراً طفيفـاً خلال السنة الثانية (2005 / 2006) من سنوات مدة البحـث التجريبيـة وعلـى النحو الآتي :

جدول رقم (1)

يوضح تغير بنية العلاقات الإجتماعية العراقية

المتغير	طبيعة العلاقة 2005/2004				طبيعة العلاقة 2006/2005				طبيعة العلاقة 2007/2006			
	قوية		ضعيفة		قوية		ضعيفة		قوية		ضعيفة	
	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة
الاسرة	21	87,5	3	12,5	22	91,6	2	8,3	24	100	–	–
الاصدقاء	15	62,5	9	37,5	21	87,5	3	12,5	18	75	6	25
المحلة	7	29	17	71	4	16,6	20	83,3	9	37,5	15	62,5
المدينة	6	25	18	75	3	12,5	21	87,5	2	8,3	22	91,6

أ – على مستوى علاقة ابناء الأسر باسرهم شهدت تلك العلاقة منحى تصاعدي ففي العام الدراسي (2004 / 2005) إذ كانت درجة علاقة الأبناء باسرهم قد بلغت 87،5٪ من القوة مقابل 12،5٪ من الضعف نجدها قد توثقت في العام (2005 / 2006) فبلغت 91،6٪ مقابل 8،8٪ من الضعف في حين كانت في العام الدراسي 2006 / 2007 (100٪) من القوة.

ولعل التفسير الإجتماعي لهذا الأطراد مصدره ادراك ابناء المجتمع العراقي، بقيمة الالتزام القرابي في ظل غياب الطمأنينة المفقودة في المؤسسات الردعية (

الضبطية) التي من شأن ايجابية دورها الوظيفي، تقليل الارتباط العائلي حيث يعتمد أبناء المجتمع عليها في الشعور بالطمأنينة، أما وقد ضعف دورها، فقد أنكفئا الافراد الى أسرهم، وعلى ذلك، كلما زاد دورها الايجابي ضعف دور العائلة في هذه الناحية والعكس صحيح، الا ان هذا الغياب جعل الافراد يدركون قيمة ارتباطهم بالعائلة، خاصة وان هذه المؤسسات قد عجزت خلال ثلاث سنوات عن تحقيق شيء من الامن على أختلاف مستوياته.

ب – على مستوى علاقات الصداقة كان العام 2006 / 2007 نقطة انخفاض في مستوى العلاقة اذا بلغت قوتها حسب راي المبحوثين 62،5٪ مقابل ضعفها الذي بلغ 37،5٪ ازاء زيادتها في العام 2005 / 2006 التي بلغت بدرجة 87،5٪ مقابل 12،5٪ ولعل تراجع النسبة خلال العام الاخير اذ كانت من القوة 75٪ مقابل 25٪ من الضعف من مدة البحث مرجعها، تردي الحالة الأمنية مما لا يسمح بخروج الأصدقاء مع بعضهم البعض ومن ثم تحديد نشاطهم الترفيهي.

وقد كان لشدة الاعلام والحملات العسكرية التي قامت بها قوات الاحتلال والشرطة هي السبب في ارتفاع نسبة قوة العلاقة بين الاصدقاء عام 2005 / 2006 الى 87،5٪ مقابل 12،5٪ مما سمح بهدوء نسبي ساعد على توثيق علاقات الصداقة حيث امكنهم البقاء متأخرين نسبياً في المساء، وإقامتهم حفلات ترفيهية، الا أن فشل تلك الحملات، ساعد على تردي الأوضاع ومن ثم فرض حظر التجوال الذي حد من حركات الشباب العلائقية مع بعضهم البعض.

ت – أما العلاقات الإجتماعية على مستوى المحلة والمدينة فكان جد طبيعي في ظل ظروف سوء الأوضاع الأمنية وفرض حظر التجوال أن تضعف العلاقة بينهما وهذا وفق النسب المذكورة في الجدول رقم (1) اذ بلغت قوتها 29٪ مقابل

ضعف الارتباط الذي شكل 71٪ بالنسبة للمحلة و25٪ مقابل ضعف الارتباط الذي شكل 75٪ بالنسبة للمدينة في العام 2004 / 2005، وتدني العلاقة بين ابناء المجتمع والمحلة في العام 2005 / 2006 الى 16،6٪ مقابل ضعف العلاقة التي شكلت 83،3٪ اما على مستوى المدينة فقد انخفضت نسبة الارتباط الى النصف اذ انخفضت الى 12،5٪ مقابل ضعف في العلاقة بلغ 87،5٪ .

ولم يكن العام 2006 / 2007 بافضل من سابقيه سوى ارتفاع بسيط في مستوى العلاقة بالمحلة اذ ارتفعت قوة العلاقة الى 37،5٪ مقابل ضعف في الارتباط بلغ 62،5٪ وهو لا يعد تحسناً حقيقياً ربما مصدر قوة العلاقة الاجتماعية الموجودة أصلاً قبل الاحتلال الذي حد منها كبيراً، أما على مستوى المدينة فقد استمرت نسبة ضعف العلاقة بالهبوط اذ بلغت قوتها 8،3٪ مقابل ضعف العلاقة التي بلغت 91،6٪.

ث – على مستوى زيارة الأقارب والمشاركة في النشاطات الاجتماعية الرسمية نجد أن السنوات الدراسية الثلاث قد شكلت حرف U حسبما يوضحه الجدول رقم (2)

جدول رقم (2)

يوضح زيارة الاقارب

2005 /2004				2006 /2005				2007 /2006			
يزور		لا يزور		يزور		لا يزور		يزور		لا يزور	
تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة
22	91,6	2	8,3	20	83,8	5	16,6	22	91,6	2	8,3

فبعد أن كانت في العام الدراسي 2004 / 2005 قد بلغت 91،6٪ ممن يزور مقابل 8،3٪ ممن لا يزور، نجدها قد انخفضت نسبياً في العام الدراسي 2005 / 2006 الى 8،83٪ ممن يزور مقابل 16،6 ممن لا يزور ونجدها ارتفعت تماماً في العام 2006 / 2007 الى ذات النسبة في العام الدراسي 2004 / 2005.

ولعل السبب في ذلك كان التحسن النسبي في العام 2004 / 2005 مما سمح بتوسيع العلاقات بين ابناء المجتمع الى خارج النطاق القرابي الى نطاق العلاقات الى مستوى المحلة والمدينة حينما تم توضيح ذلك في بيان مستوى علاقة الابناء بالمحلة والمدينة للعام الدراسي 2006 / 2007 من الجدول رقم (1).

وذات الرؤية التحليلية تنسحب على المشاركة في النشاطات الاجتماعية الرسمية، حيث مال ابناء المجتمع الى استغلال فرصة التحسن في الظروف الأمنية لتوسيع النشاط الى المجالات الأجتماعية غير الرسمية فانخفضت نسبة المشاركة الاجتماعية الرسمية الى 33،8٪ ممن يشارك مقابل 66،6٪ ممن لا يشارك في العام

الدراسي 2005 / 2006 مقابل نفس النسبة التي كانت المشاركة الاجتماعية الرسمية أكبر نسبياً في العامين الدراسيين 2004 / 2005 و 2006 / 2007 حسبما يوضح ذلك الجدول رقم (3) وقد بلغت 37،5٪ ممن يشارك مقابل 62،5٪ مما لا يشارك.

جدول رقم (3)

يوضح المشاركة في النشاطات الإجتماعية الرسمية

2005/2004				2006/2005				2007/2006			
يشارك		لا يشارك		يشارك		لا يشارك		يشارك		لا يشارك	
تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة
9	37,5	15	62,5	8	33,3	16	66,6	9	37,5	15	62,5

وعند التمعنّ في نسب التحسن في العام الدراسي 2005 / 2006 لا نجدها تشكل تحسناً كبيراً اذ لم يكن ذلك التحسن حقيقياً بقدر ما كان تحسناً اعلامياً، وهذا هو السبب الذي يفسر الانكفاء الى مستوى العلاقة في العام الدراسي السابق واللاحق لهذا العام الدراسي.

ج – على مستوى التفكير بالمستقبل. ويكاد أن يشكل التغير في التفكير بالمستقبل، المجال الاكثر وضوحاً في التغيير الإجتماعي حسبما يوضح ذلك الجدول رقم (4)

جدول رقم (4)

يوضح تفكير أبناء المجتمع العراقي في بالمستقبل

2005/2004				2006/2005				2007/2006	
يفكر		لا يفكر		يفكر		لا يفكر		يفكر	
تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة
21	87,5	3	12,5	22	91,6	2	8,3	24	100

اذ جاءت النسب في التفكير بالمستقبل تصاعدية، فبعد أن كان التفكير في المستقبل قد بلغ 87،5٪ مقابل 12،5 ممن لا يفكرون في العام الدراسي 2004 / 2005 نجدها قد تصاعدت في العام الدراسي 2005 / 2006 الى 91،6٪ ممن يفكرون مقابل 8،3 ممن لا يفكرون، بل أن نسبة التفكير في المستقبل قد بلغت في العام الدراسي 2006 / 2007 (100٪).

ومرد ذلك، تحسن الوضع المالي للموظفين وقد ضاعفت الحكومة مستوى أجور موظفيها، مما ساعد على تحسن ملحوظ في مستوى الدخل، فاتجهت الأنظار الى الوظائف الحكومية، التي تتطلب بالنتيجة تخصصات علمية، فما كان من ابناء المجتمع الا التفكير في المستقبل هذا من جهة.

من جهة أخرى فإن ما هو واضح ضعف التوجه الاشتراكي لمخططات الحكومة، ومحاولة توجيهها المشاريع الراسمالية من خلال طرح برامج الخصخصة

ولو على الصعيد الاعلامي. فأصبح ذلك مؤشراً دق اذهان ابناء المجتمع بضرورر التفكير بالمستقبل والتحوط لظروف مالم يعهدوه، الا أنهم يسمعون به.

المحور الاقتصادي

الاقتصاد ركن الحياة الاكثر واقعية والذي يفرض فلسفته على الواقع الإجتماعي من غير رتوش ايدلوجية أو سياسية فهو ان كان ذو طابع يتخذ من نظرية التحديث أم نظرية التبعية محوراً، الا أنه يظل رغم كل شيء له واقع ملموس يتمثل بالحاجات على انواعها، وهي بحاجة لأن تشبع بواسطة الاقتصادي الذي يحس به أبناء المجتمع، ومعلوم أن الطابع الاشتراكي للاقتصاد العراقي النشط خلال عقدي السبعينات والثمانينات الذي اعتمد التنمية الشاملة [1] بدأت تضعف منتصف الثمانينات في القرن الماضي حتى كادت أن تتلاشى مع نهاية التسعينات بفعل الحرب العراقية – الإيرانية، وآثار الحصار الاقتصادي الذي بدأ تطبيقه أوائل التسعينات، بل أننا نجدها قد تلاشت مع دخول الاحتلال الأمريكي مطلع القرن الواحد والعشرين ولذلك فقد اخذ الاقتصاد المخطط يغيب عن الواقع الاجتماعي والاقتصادي للمجتمع العراقي، فكان من الطبيعي ان يثار السؤال الاكثر اهمية على مستوى الحياة الواقعية – الشعبية، وهو هل يهم الوضع الاقتصادي أبناء المجتمع، الا أن التساؤل لم يكن ذا طابع تنظيري على مستوى السياسة الاقتصادية، فذاك عمل الدولة التي يقف الفرد امامها عاجزاً، بل لا توجد جدوى من هكذا

([1]) ينظر محمد مهدي صالح الراوي / التنمية المكتبية المتوازنة ومسألة البناء الاشتراكي في الوطن العربي في الثمانيات / المجلة العربية لعلم الاجتماع المجلد 2 العدد 4 تموز – يوليو ص17 – 36.

سؤال لبلد يخضع لنير الاحتلال، فكان طابع السؤال شعبياً بمقدار ما يهم ابناء المجتمع.

ويطرح الجدول رقم (5) السؤال هل يهتم أبناء المجتمع بالوضع الاقتصادي للبلد

جدول رقم (5)

يوضح اهتمام أبناء المجتمع العراقي بالوضع الاقتصادي للبلد

2005/2004				2006/2005				2007/2006			
يهم		لا يهم		يهم		لا يهم		يهم		لا يهم	
تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة
9	37,5	15	62,5	21	87,5	3	12,5	21	87,5	3	12,5

وبتفحص نسب الجدول اعلاه يتضح ما يأتي:

أن نسبة المهتمين من المجتمع بالوضع الاقتصادي قد بلغت 37،5٪ مقابل 62،5 لم يهتموا وذلك في العام الدراسي 2004 / 2005 مقابل زيادة ملحوظة في الاهتمام في العامين الدراسيين 2005 / 2006 و 2006 / 2007 اذ بلغت 87،5٪ ممن اهتم مقابل 12،5 لم يهتم.

والتفسير الاجتماعي لذلك إن المجتمع العراقي كان أكثر اهتماماً بما آل اليه البلد عقب الاحتلال، الا أنه وبعد مضي السنتين الاوليتين من الاحتلال، وازاء التخطيط والحاجة لاقتصاد ينهض على قدميه نجد أن ابناء المجتمع قد ارتفعت درجة اهتمامهم بالوضع الاقتصادي.

ومما يجدر الانتباه اليه أن الاهتمام الاقتصادي للمجتمع، كان أهتماماً فردياً، فلم يكن المحتل ليهتم بحال البلد الاقتصادي باي حال من الأحوال، بل إن السوق العراقي أصبح مفتوحاً دون رقابة ضريبية أو نوعية 1* لاي من البضائع التي تدخل البلد من الدولة ولما كان الوضع المالي قد شهد تسحناً ملحوظاً، فقد اتجه المجتمع الى الاهتمام بالمتعلقات الاقتصادية وقد اخذت شكلين :

1 – اقتناء المصنوعات التقنية

2 – زيادة النشاط التجاري مع دول الجوار

وقد سمح كل ذلك بتوفر السيولة النقدية لدى ابناء المجتمع فأدى ذلك الى ازدياد الاهتمام بتقديم المساعدات المالية للاقرباء حسبما يوضح ذلك الجدول رقم (6)

(*) المقصود بالنوعية الجودة حيث لا توجد سيطرة نوعية على البضائع فيستورد التجار الردي منها لرخصه الا إن سهولة تسويقه تأتي من فقدانه من السوق قبل الاحتلال ، وقد أدى ذلك الى أغراق السوق بهذا النوع من البضائع

جدول رقم (6)

يوضح تقديم المساعدات للأقارب

	2005 /2004		2006 /2005		2007 /2006	
	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة
نعم	15	62,5	15	62,5	19	79
لا	9	37,5	9	37,5	5	21

ونجد في نسب الجدول ان العامين الدراسيين 2004 / 2005 و 2005 / 2006 كانت نسبة المقدمين المساعدات قد بلغت 62،5٪ مقابل 37،5 لم يقدموا مساعدات مالية، الا أن هذه النسب قد زادت في العام الدراسي 2006 / 2007 اذ بلغت 79٪ مقابل تدني نسبة الذين لم يقدموا مساعدات اذ بلغت 21٪ ولعل تراكم رأس المال خلال عامين بفعل تحسن الراتب الوظيفي هو الذي ادى الى زيادة اهتمامهم بالاقارب وتقديمهم المساعدات المالية لهم، وهذا وضع طبيعي بالنسبة للمجتمع الموصلي لما اتصف به من حميمية، وهذا ما يفسره الجدول (7)

جدول رقم (7)

يوضح سبب تقديم المساعدة

	2004/ 2005		2005/ 2006		2006/ 2007	
	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة
اجتماعي	13	54	10	41,6	11	45
اقتصادي	2	8,3	3	12,5	3	12,5
ديني	8	33,3	9	37,5	6	25
سياسي	1	4	2	8,3	4	16,6

ويتضح من الجدول اعلاه ان الدافع الاجتماعي وما يتضمنه من متينية في العلاقات القرابية وعلاقات الصداقة كان هو الدافع الأكثر اهمية فشكلت النسب 54٪، و 41،6٪، و 45٪ للسنوات 2004 / 2005 – 2006 / 2007 على التوالي الأكثر سبباً في تقديم العون المالي للاقرباء والاصدقاء المحتاجين وتلاه في الأهمية الدافع الديني فشكلت النسب 33،3٪، و 37،5٪، و 25٪ لذات الاسنوات على التوالي.

ولعل تفسير ذلك ما أتصف به المجتمع الموصلي من ميزة التدين، وشاهدها كثرة المساجد والجوامع والمشاريع الخيرية 1 .

أما الدفع الاقتصادي في تقديم المساعدات المالية للاقرباء فقد حضي بالنسبة الاتية 3،8٪ للعام الدراسي 2004 / 2005. واستقرار النسبة التي بلغت 12،5٪ للعامين الدراسيين التاليين، وربما اتخذت المساعدات المالية شكل دعم المشاريع التجارية الصغيرة مقابل ربح رمزي، وقد يكون مرد ذلك هو ما إتسم به الافراد المُقَدمْ لهم العون من تعفف فابوا العون الا وكأنه مشاركة في مشروع اقتصادي مع مَنْ قدم العون والمساعدة.

اما الدوافع السياسية في تقديم لعون فقد كانت الاقل نسباً من بين الدوافع على انها أخذت هي الاخرى في التصاعد بوترة مطردة حسبما توضح ذلك النسب التي جاء علىٰ توالي سني البحث 4.1٪، وقد ارتفعت الى 8،3٪ ثم الى 16،6. ولعل سبب هذا الازدياد المطرد هو الاتساق في العمل الحزبي على الرغم من ضعفه البادي في الكيان الأجتماعي

المحور السياسي

عنت السياسة منذ افلاطون وحتى بارسنز القوة، وقد اتخذت اشكالاً منها السلطة وأداتها القهر، الاقتصاد ويده الطولى مصالح فئة معينة، كما عنت الفلسفة حينما شُخصت على انها ما يجب أن يكون عليه الواقع [2] ورغم أختلاف اشكالها

(1) أنظر د . حارث حازم . دور جماعة المسجد في التنمية الاجتماعية بحث مقبول للنشر في مجلة آداب الرافدين عام 2007 .

(2) أنظر د. إسماعيل علي سعد / المدخل الى علم الاجتماع السياسي / در النهضة العربية بيروت / ط1 1989

فأنه كان لها شكلاً واحداً على مر العصور، الا وهو الدولة، **ومادامت الدولة هي المحتكر لممارسة السلطة والقوة في المجتمع على حد قول ماكس فيبر لما تمتلكه من شرعية يصبح مواطنيها ملزمين بطاعتها والخضوع لها"** [1].

ولا شك أن حال العراق كدولة قبل الاحتلال ما كان ليشذ عن هذه القاعدة الفيبرية، أي أن مفهوم السياسة على الاقل بالنسبة للمجتمع العراقي بعد الاحتلال أخذ شكلاً آخر، وهو العراق نفسه، فغدت السياسة – العراق كله حضارة ومجتمعاً، ولما كان مفهوم السياسة قبل الاحتلال يعني فئة ما تمتهن العمل السياسي أو تحمل الفكر السياسي، فإن هذه الفئة قد غابت بعد الاحتلال ليحل محلها المجتمع كله، ولم تعد فكرة القوة ممثلة للفكر السياسي، بقدر ما أصبح الاهتمام بالعراق، فالعراق ومستقبله هو السياسة نفسها.

ولقد تدرج الاهتمام بالوضع السياسي للمجتمع العراقي من بمنحى تصاعدي حسبما يوضح ذلك الجدول رقم (8)

([1]) د. اسماعيل علي سعد / دراسات في المجتمع والسياسة / دار النهضة العربية – بيروت 1988 ص133

جدول رقم (8)

يوضح الاهتمام بالوضع السياسي

	2004/ 2005		2005/ 2006		2006/ 2007	
	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة
اهتم	20	83,3	22	91,6	23	95,8
لا اهتم	4	16,6	2	8,3	1	4,1

اذ بلغ الاهتمام بالوضع السياسي 2004 / 2005 83،3٪ مقابل عدم اهتمام بلغ 16،6٪ وازداد الاهتمام في العام الدراسي 2005 / 2006 الى 91،6 ٪ ممن أهتموا مقابل 8،3 لم يهتموا، وبلغت في العام الدراسي 2006 / 2007 95،8٪ مقابل 4،1٪ لم يهتموا.

والتفسير الاجتماعي لتصاعد هذا الاهتمام هو أن زيادة الوعي الاجتماعي لابناء المجتمع العراقي، بان الاحتلال الامريكي لم يرغب الا في تعطيل عجلة الحضارة في المجتمع، ودليل ذلك ان قوات الاحتلال لم تعمل الا على زيادة عدد المعتقلات من جهة، ولم تفكر قط بادرة العراق كدولة وفق قوانين محددة، فكان يسيراً عليها ، ان تهدم بيتاً، أو تعتقل أي شخص لمجرد وشاية، اذ وجود لما يسمى بقانون تسير وفقه أمور الدولة، من جانب آخر أن مؤسسات الدولة في ظل الاحتلال تسير اصلاً وفق قوانين الدولة قبل السقوط مما يجعل المجتمع العراقي

يشعر بأنه يسير وفق ما يسميه بلا دولة تحكمها القوة، وقوانين دولتها اصبحت أثـراً بعد عين.

وهذا التفسير هو الذي جعل من ابناء المجتمع ينظرون الى مستقبل العراق نظرة سيئة وفق ما يوضحه الجدول رقم (9)

جدول رقم (9)

يوضح رأي المجتمع العراقي بمستقبل بلدهم

	2004/ 2005		2005/ 2006		2006/ 2007	
	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة
أمن	3	12,5	1	4,1	-	-
أسوء	5	20,8	12	50	13	54,1
غامض	6	25	5	20,8	5	20,8
لانعرف	10	41,6	6	25	6	25

اذ تدنت النسبة من النظرة الحسنة 2004 / 2005 12،5٪ الى 4،1٪ للعام الدراسي 2005 / 2006، في حين اختفت هذه النظرة 2006/ 2007، في حين كان حصة النظرة مجتمعة ما بين سيئة الى غامضة الى لا يعرف عام 2004 / 2005 4،87٪ ومن تصاعدها في العام الدراسي 2006 / 2007 الى 8،85، وبلوغها العام الدراسي 2006/ 2007 درجة 100٪

وتعد تلك التصورات عن مستقبل المجتمع العراقي مقبولة فلقد مضى على احتلال العراق سنواته الأولى، ولم يحضى العراق باي إنجاز خدمي، فما زالت جميع المرافق الخدمية وعلى راسها الكهرباء مشكلة عويصة يعاني من فقدها كل ابناء المجتمع، ناهيك في ارتفاع الاسعار المواد، وخاصة المحروقات أو قات فصل الشتاء.

إن ادراك الفرد العراقي لمخطط المحتل من جهة وتصوره لمستقبل بلده في ظل الاحتلال جعله لا يؤمن بالمشاركة السياسية وهذا ما كشفه الجدول رقم (10)

جدول رقم (10)

يوضح مدى ايمان المجتمع العراقي بالمشاركة السياسية

	2005/2004		2006/2005		2007/2006	
	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة
أومن	4	16,6	4	16,6	2	12,5
لا أومن	2	83,3	2	83,3	21	87,5

حيث بلغت نسبة الذين لا يؤمنون بالمشاركة السياسية على مدار العامين الدراسيين 2004/ 2005 و 2005 / 2006 83،3٪ مقابل نسبة 16،6 ممن يؤمنون بها، وحتى نسبة المؤمنين بها تقلصت الى 12،5٪ مقابل 87،5 ممن لا يؤمنون بها في العام الدراسي 2006 / 2007، ولعل فكرة الايمان بالمشاركة السياسية لهذه النسبة القليلة مصدرها ارتباط المؤمنين بها بشكل أو بآخر بمن

يعملون في المؤسسات السياسية الرسمية وغير الرسمية (الحزبية) أو حتى المؤسسات الأمنية.

المحور الديني

يشكل الدين معرفة ذات وجهين هما التعالي والواقعية، ولا يمكن الفصل بينهما على الاقل نظرياً، حتى اصبح الدين الساحة الوجودية التي لا جدال في حقيقتها العملية، وغدا الدين النقطة المرجعية التي يتم الاحتكام اليها، ليس في شرقنا المتدين حسب، بل حتى في العالم الغربي – العلماني، بحيث يقيم أي سلوك من منطلق دينيته *، وقد شكل ذلك التقاطع ما بين الديني وسواه ما اسماه "كارل مانهايم في علم اجتماع المعرفة بـ" ارتباط الوجود" أي التكامل العضوي لمجموعة ما يتم به بناء فعل الفاعلين الإجتماعيين"[1] ضمن المحيط الاجتماعي، فلا فردانية للمتعالي، على الواقعي، ولا استغلال للواقعي عن المتعالي.

واذا كان الارتباط الإجتماعي قائم على اساس المواطنة فلا شك أن المتغيرات العرقية تبقى تحتفظ بخصوصيتها، أما الارتباط السياسي فلا شك مرتهن بالتوجهات العقيدية للاحزاب السياسية وهكذا دواليك، الا الارتباط الديني و فهو ارتباط وجود بين الجميع، وان كانت هناك تيارات طائفية أو مذهبية أو حتى ديانات مختلفة، الا انها تحدد علاقاتها مع بعضها وفق المتعالي الاول (الله سبحانه وتعالى) وهنا يتمايز علم أجتماع المعرفة كأداة "تحليل محايد لطبيعة توسطات ثقافية

(*) لعل موضوع الحجاب وتحريم لبسه في فرنسا ، أحد الأمثلة الشاخصة التي تؤيد وجهة نظرنا.

(1) غانم هنا / من الأسطورة الى الدين / ندوة الدين في المجتمع العربي / مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت ط1 1990 ص84.

بين البناء الأجتماعي والوعي، يقول دكسون أن فكرة الفهم الاجتماعي للدين تقتضي مجرد التقمص وليس الالتزام والموافقة مع صعوبة الفصل بينهما [1]

من هذا التحديد المنهجي أثير تساؤل تأدية الفروض الدينية، ولقد كانت نتائج الاجابة حسبما يوضحها الجدول (11)

جدول رقم (11)

يوضح تأدية الفروض الدينية لابناء المجتمع العراقي

	2005/2004		2006/2005		2007/2006	
	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة
نعم	21	87,5	22	91,6	20	83,3
لا	3	12,5	2	8,3	4	16,6

غير مستقرة على وتيرة واحدة، حتى وان كانت في كل الأحوال قد تجاوزت نسبة الذين يؤدون فروضهم الدينية نسبة الـ80٪ فقد بلغت نسبتها في العام الدراسي 2004/ 2005 87،5٪ مقابل نسبة 12،5 لم يؤدوا فروضهم الدينية ثم عادت فأرتفعت الى 91،6٪ في العام الدراسي 2005/ 2006 مقابل انخفاض نسبة الذين لا يؤدون فروضهم الدينية الى 8،3٪، الا أنها عادت فانخفضت في العام

(1) حيدر إبراهيم / الاسس الأجتماعية للظاهرة الدينية / ندوة الدين في المجتمع العربي / مصدر سابق ص44 .

الدراسـي 2006/ 2007 الى 83،3٪ وارتفعـت بالمقابـل نـسبة الـذين لم يلتزمـوا بفروضهم الدينية الى 16،6٪

ويبدو إن التفسير الاجتمـاعي لهـذا الارتفـاع في نـسبة الالتـزام بـالفروض الدينية متعلق بالشق المتعالي، واداء الطقـوس المتعلقـة بـالفروض الدينيـة النظريـة، ولعل الالتزام السلوكي أجتماعياً للبعض منهم يتقـاطع والتـصور الـديني، الا أنهـم تجاوزا ذلك التقاطع بأدائهم طقوس الدين وشعائره دون الالتـزام بتعاليمـه، وربمـا يؤكد ذلك الجدول رقم (12)

جدول رقم (12)

يوضح مدى ايمان المجتمع العراقي بدور الدين في قيادة المجتمع

	2005/2004		2006/2005		2007/2006	
	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة
نعم	22	91,6	19	79	18	75
لا	2	8,3	5	20,8	6	25
المجموع	24		24		24	

حيث يتضح أن نسبة 75٪ من افراد المجتمـع أمنـوا بـدور الـدين في قيـادة المجتمع مقابل نسبة 25٪ لم تؤمن بهذا الدور في العـام الدراسـي 2006 / 2007، في حين أن هذه النسبة كانـت منخفـضة في العـام 2004/ 2005 إذ بلغـت 8،3٪ مقابل نسبة 91،6٪ آمنت بدور الدين في قيادة المجتمع، ولعـل تفـسير ذلـك مـرتبط بتدهور الوضع السياسي والاقتصادي والإجتماعي والعسكري والأمني فضلاً عـن

دور الاحتلال الامريكي، فلم يكن في اليد حيلة من الرجوع الى القوى الغيبية، والتشبث بالدين، ناهيك عن لدور الايجابي للمساجد في رد المظالم ووقوف الكثير من الشباب والرجال بدوافع دينية أمام احداث السلب والنهب بعد سقوط البلد 9 / 4 / 2003، الا إن ذلك لم يدم طويلاً فمع واقعية الحياة يكون من الصعب تأطيرها بتعاليم الدين النظرية. خاصة وان الألتزام بالتفسير الديني المتشدد دون الاخذ بنظر الاعتبار ظروف العصر الحديث، وغير ذلك جعل الاعتقاد بدور الدين في قيادة المجتمع يضعف.

مقابل طرف المعادلة. هذه كانت هناك الجماعات الدينية، وقد تعددت هي الآخرى ما بين مسلحة وآخرى غير مسلحة، حزبية وآخرى سلفية، متزمتة وأخرى معتدلة.. علنية وأخرى سرية... ولتباين براجمها وتنوع أساليبها في محاولتها تطويع النظرة الدينية النظرية على مستوى الواقعية مع الآخذ بنظر الاعتبار تباين المصالح الشخصية سواء لقادة هذه الجماعات أم مصالح المؤمنين بها، أو مصالح عموم أبناء المجتمع ناهيك عن تفاوت المعرفة الدينية، وجرئتها على القوى، ومطاردة الاحتلال الامريكي والقوات الأمنية لكل الجماعات الدينية التي لم تؤمن بالمشروع السياسي المطروح، فضلاً عن عوامل أخرى، كل ذلك جعل رؤية أبناء المجتمع للجماعات الدينية رؤية منمطة آخذة بالاتجاه نحو تدني الأعتقاد بدورها في قيادة المجتمع، وهذا يوضحه الجدول رقم (13)

جدول رقم (13)

يوضح مدى أعتقاد ابناء المجتمع بالحركات الدينية

	2004/ 2005		2005/ 2006		2006/ 2007	
	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة
نعم	19	79	16	66,6	15	62,5
لا	5	20,8	8	33,3	9	37,5

أذ بين الجدول أن نسبة المعتقدين بدور الحركات الدينية في العام الدراسي 2004/ 2005 79٪ مقابل نسبة 20،8٪ ممن لم يعتدقوا بدورها نجدها قد تدنت الى 6،66٪ العام الدراسي 2005/ 2006، ثم بلغت العام الدراسي 2006/ 2007 62،5٪ الا أن هذه النسبة ما زالت تتجاوز الـ60٪ مما يعني توفر الرغبة الدينية لدى افراد المجتمع العراقي في توفير ما عجزت عن تحقيقه المؤسستين السياسية والأمنية.

المحور الثقافي

إذا كانت من علائم التغير الاجتماعي الكبير في المجتمع العراقي عقب الاحتلال الامريكي إنهيار المؤسسة السياسية وظهور الاحزاب السياسية ومنظمات المجتمع المدني فان التغير الثقافي كان المدلول الاكثر وضوحاً في مجال التغير الإجتماعي.

فإذا كانت الأحزاب السياسية العراقية عقب الاحتلال ليس لها جماهيرية شعبية، بل أن مقراتها، غالباً ما كانت محاطة باسيجة ومتاريس تحولت الى كونكريتية بعد مضي السنة الأولى من الاحتلال، فأن مؤشرات الثقافة لم تفقد شعبيتها.

وأول تلك المداليل وسائل الاتصال الجماهيري من صحف ومجلات فضلاً عن أجهزة الستلايت... الخ حتى أن الكثيرين حين يشيرون الى التغير فانهم يقصدون ذلك الانفتاح على العالم، وهذا ما يؤكدوه الجدول رقم 14

جدول رقم (14)

يوضح مدى اهتمام ابناء المجتمع بوسائل الاتصال الجماهيري

	2005 /2004		2006 /2005		2007 /2006	
	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة
نعم	19	79	23	95,8	23	95,8
لا	5	20,8	1	4,1	1	4,1
	24		24		24	

لقد تنامت نسبة المهتمين بوسائل الاتصال الجماهيري من 79٪ في العام الدراسي 2004/ 2005 الى 95،8٪ في العامين الدراسيين اللاحقين

أما منذ المجتمع العراقي الى العالم فقد تمثل بمقاهي الانترنيت التي ازدادت من نسبة 54،1٪ في العامين الدراسيين 2004 – 2005، 2005 – 2006 الى 75٪ في العام الدراسي 2006 / 2007 حسب الجدول رقم (15)

جدول رقم (15)

يوضح مدى ارتياد أبناء المجتمع لمقاهي الانترنيت

	2004/ 2005		2005/ 2006		2006/ 2007	
	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة
نعم	13	54,1	13	54,1	18	75
لا	11	45,8	11	45,8	6	25
			24		24	

ومما يفسر هذا الازدياد ازدياد المعرفة التقنية من جهة وزيادة عدد مقاهي الانترنيت التي باتت مصدراً للرزق في ذات الوقت للبعض الآخر.

وقد يكون لذلك الدور الكبير في جعل الكتاب كمصدر للمعرفة يتراجع عن دوره في البناء الثقافي لافراد المجتمع فلقد تدنت نسبة المهتمين بالكتاب من 91،6٪ في العام الدراسي 2004- 2005 الى 54،1 في العام الدراسي 2006 / 2007 حسب ما وضح ذلك الجدول رقم (16)

جدول رقم (16)

يوضح مدى أهتمام ابناء المجتمع بالمطالعة

	2005 /2004		2006 /2005		2007 /2006	
	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة
نعم	22	91,6	12	50	13	54,1
لا	2	8,3	12	50	11	45,8
	24					

وفي رسالة ماجستير قدمت الى قسم الاجتماع بجامعة الموصل عام 2010 عن تداعيات الحراك الاجتماعي عقب الاحتلال، توضح مقدار التوافق في القوى عن الحراك الاجتماعي العراقي وطبيعته مع ما توصلت اليه دراستنا خلال زمن الاحتلال إذ أظهرت دراستنا ان نسبة 92.8٪ قد اهتموا بموضع السياسة وهي نسبة تتفق الى حد ما مع الدراسة السابقة وقد قالوا بوجود حراك سياسي بعد الاحتلال نسبة 92.75٪.

بالمقابل توصلت الدراسة عن وجود آثار ايجابية واخرى سلبية اما الايجابية منها: فقد تمثلت بحرية الاعلام والتعدد في الاحزاب وتداول سلسلة وحرية الفكر... أي انها في واقع الامر ليست عملية لما يقابلها من آثار الدولة والمخاطر المحدقة بقسم البلد ناهيك عن فقدان الثقة بين افراد المجتمع والمؤسسة الامنية، وهذا ذات ما توصلت اليه دراستنا من ان 87٪ لا يؤمنون بالعملية السياسية.

اما الجانب الاجتماعي فقد بين البحث ظهور شرعية جديدة هي شرعية انهاء الحروب فضلاً عن الشرعية الدينية التي احتلت مراكز السلطة العليا بعد الاحتلال.

اما فقرة هذا الحراك الاجتماعي فهي لم تكن واحدة إذ أن 88.25٪ اشاروا الى تباين مستوياتها بل ان 72٪ من العينة اشاروا الى معرفتهم لاشخاص احتلوا امكانات اجتماعية ووظيفية لا يستحقونها بعد الاحتلال.

وهذه النتائج وغيرها يؤكد حقيقة ان الحراك الاجتماعي في المجتمع العراقي بعد الاحتلال كان ارتجالياً تحكمه الظروف والمصالح الشخصية وليس مبنياً وفق ظرف تاريخي طبيعي على الاقل يمكن تنبؤ المستقبل في ضوئها فهي ما يرغب الامريكي في حدوثه.

وهو ما تؤكده دراستنا إذ كانت ارتجالية سبباً في جعله غير منسجم والمثال القيمي التقليدي (القديم) وهو ما يرفضه المجتمع العراقي إذ وضحت الدراسة ان العلاقات بعد ان كانت لي العام الاسرة العراقية في العام 2004/ 2005، 87.5٪ اصبحت قوية 1000 في العام 2006/ 2007 العلاقات داخل المدينة ضعفت بنسبة 25 اصبحت ضعيفة بنسبة 91.6٪

وتفسير قوة العلاقة في الاسرة مرده انكفاء العراقي وعودته الى مثاله القيمي داخل محيطه الأولي حيث يستطيع رب الاسرة على اقل تقدير مواجهة التغيرات الطارئة التي احدثها الفعلَ الخارجي فضعفت بالمقابل العلاقات داخل المدينة لتصبح 91.6٪ في العام 2006/ 2007.

وفي واقع الامر ان نتائج الدراستين تؤكدان ان ما ذهبنا اليه من أهمية النظريات التي تأخذ في الحسبان الدمج بين العقل والفاعل ولأن هذا التفاعل كان

موجداً قبل الاحتلال وجدنا انسجاماً سلوكياً ما بين تصرفات وسلوكيات الافراد في مجمل سلوكهم الاجتماعي مع المثال القيمي الذي طوره لينسجم ومتطلبات التغير الاجتماعي كما ان مجمل الحراك الاجتماعي وإن كان يواجه برفض لغوي (صوري) غلا انه كان يقابل في الوقت بدعم سلوكي وفق منطق التبرير الاجتماعي.

اما ما حدث بعد الاحتلال فلأن التغيرات القسرية كانت خارجة عن البناء القيمي فلم يتمثلها في سلوكه ولهذا فإن مجمل الحراك السياسي والاجتماعي الذي حدث لم يحظى بالقبول الاجتماعي فلم يكن هناك ايمان بالعملية السياسية كما لا يوجد تقدير اجتماعي للافراد الذين حققوا نقلات اجتماعية فكان عودة العراقي لاسرته وابتعاده عن المدينة حيث الحضور الفاعل لرموز الحراك الاجتماعي فيها امراً طبيعياً.

وهنا يمكن القول بان مرحلة الاحتلال لم تشهد ظهور مثال قيمي جديد بمقدار ما كان تمسكاً بثوابت النظام القيمي القديم مقابل تقبل مستجدات المرحلة الحاضرة كواقع حال وليس كمنظم سلوكي يهتدون به. ويعد ذلك مسالة طبيعية، لان الاحتلال مهما طال أمده يُعد حالة طارئة فيكون اللجوء للمثال القيمي السابق على وجود الاحتلال بمثابة التمسك ليس بالهوية الوطنية. وربما يكون التمسك باصرار على ثوابت المثال القيمي دليل على ذلك. ويمكننا ان ندلل على ذلك من خلال ملاحظتنا لثقافة المَلْبس على اقل تقدير ففي عقد السبعينات بعد كانت ثقافة الملابس القصيرة شائعة ومالوفة لدى النساء العراقيات (في المدن خاصة) ثم تدرجت مودة الملابس لتصبح التنورة الطويلة هي الشائعة خلال عقدي الثمانينات والتسعينات بعد ان كانت ثقافة الملابس النسائية في الخمسينات لا تعرف التنورة

على العموم وانما ترتدي النسوة اللباس التقليدي (ثوب طويلة وغطاء رأس) ان لم يكن في الغالب يرتدين الخمار نجد ان معظم العراقيات خلال فترة الاحتلال كانت ثقافة الملابس الطويلة (التنورة الطويلة، الحجاب) هي السائدة. بل انك على اقل تقدير لا تجد من بين عشرة فتيات في الجامعات العراقية الا واحدة لا ترتدي الحجاب وهذا مؤشر واضح على التمسك بأحد جوانب المثال القيمي القديم.

الفصل الخامس

تأطير البحث نظرياً

الفصل الخامس

تأطير البحث نظرياً

طبيعي ان كل عمل يكتب لا بد ان يخرج بنتائج واذا كانت النتائج غالباً ما تحمل واقعاً تجريبياً بالنسبة للبحوث التطبيقية. فانه من المُكَمِلْ العلمي لها تأطيرها نظرياً لتكون نتائج يمكن أن تُعد لبنة تضاف اليها فيما بعد لبنات لرسم معالم نظرية معينة.

ولعل ما يتمتع به علم اجتماع المعرفة من خصوصية وقدرة على الجمع بين فهمه "للقضايا الابستمولوجية على المستوى النظري، ولقضايا تاريخ الفكر على المستوى التجريبي" شجعتنا على تقديم محاولة متواضعة لتفسير مسيرة البحث التجريبية بطريقة نظرية الهدف منها تحديد ما يمكن تحديده من الواقع ونقله الى بناء النظرية الاجتماعية بدأ بالمنهج الفينومينولوجي وتفسير جدنز لنظرية البنية ثم توظيفنا لعلم اجتماع المعرفة كمنهج وعلم (نظرية) يعالج التداخل ما بين الظاهراتية كمنهج والنظرية الاجتماعية وعلى الشكل الآتي:

يؤكد المنهج الفينومينولوجي على "وصف الظواهر وصفاً دقيقاً والكشف عن اسباب ظهورها في أي شيء في الزمان والمكان ولكي تقوم بهذه المهمة فانها تستند على مفهوم رئيسي هو قصدية الوعي الذي يعني بالاساس التوجه نحو الموضوع من خلال الذات" [1].

---

(1) شحاتة صيام، علم اجتماع المعرفة وصراع التأويلات من العقلانية إلى جدل الذات، دار ميريت، القاهرة، 2005، ص158 .

والمثال القيمي هو النموذج الذي يسعى افراد المجتمعات وجماعاته الاحتذاء به، قصدية الوعي والشعور باهمية وصعوبة العمل بمنطق التعليق تعليق الذات للباحث من أجل رسم صورة الواقع كما هو من خلال استجلاء صورة مثاله القديم على الأقل منذ منتصف القرن العشرين ومحاولة تبيان رصد التغير الاجتماعي الذي لحقه بتغير الظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وحتى العسكرية عقب الاحتلال الامريكي.

والمنهج الظاهراتي بقدر ما هو تركيز على مظاهر الوجود هو في الواقع الحال بحث في الوجود البشري كصورة كلية هي على الاقل اجتماعية او بشرية حال أن يكون موضوع بحثه المجتمع. فالوجود البشري وجود ظاهري له حيز يمكن ان نلمس فيه ما قد نعتقد انه قد اصابه شيء من التغير.

ولعل تحديدنا للمنهج الظاهري كان لدواعي من بينها مفاهيمه التي نعتقد وضوح البعض منها بشكل جلي والبعض الآخر بشكل اقل وضوحاً في موضوع بحثنا وقد تمثلت تلك المفاهيم بالعواطف والمواقف[1]

أ- العواطف:

اُجتماعيا بالطبع ليست هناك عاطفة خالصة صافية او مجردة او شعور نفسي خالص، بل دائما تُقنَّنُ بالتعلم الأجتماعي من خلال القالب الثقافي[2]، وهذا بالضبط هو ما عملنا على ابرازه فلقد كان الشعور بالمجتمع هو أحد اساسيات المثال

---

(1) اعداد فادية عمر الجولاني، علم الأجتماع الوجودي والنظرية الاجتماعية، المكتبة المصرية للطباعة والنشر والتوزيع، 2009، ص39-56 .

(2) المصدر نفسه، ص41 .

القيمي، كما أن حالة التهيء لقبول فكرة التغير التي بدأت ملامحها تظهر أواخر الستينات ما هي إلا حالة شعورية عاشها المجتمع العراقي وان كان شعوراً رتيباً متماشياً مع رتابة المتغيرات الأجتماعية التي اتسمت بالبط والتنظيم على خلاف حالة الشعور التي كانت رمزية في المعادلة الاجتماعية النفسية ذات التضامنين الصوري النفسي- السلوكي ابان فترة الحصار، وما حالة الانكفاء والعودة الى شكل المثال القيمي القديم مطلع الاحتلال الأ حالة شعورية هدفها اظهار جوهر المجتمع العراقي بانه يشكل وحدة لا تقبل التغير من الخارج وفق محددات ثقافية جاء بها الاحتلال.

ب- المواقف

في جميع تصورات المنظرين في الفينومولوجيا ان الموقف، هو "فكرة اكدت إن قصودات وتعريفات الفاعل، انما اولية ومشتركة، اضافة الى ان هناك تقبل لأهمية الآخرين، ومعلومات يكون الفعل بها ممكناً لتعريف الموقف او مضاد للحالة الخارجية، والخط العام لمبادئ الموقف سوف تتضمن معلومات لمعرفة وجهة نظر الفاعل والموضوعات الطبيعية والاجتماعية للحالات الداخلية والمشاعر، والاطار العام للعمل، وتظهر كلها في الاطار العقلي ضمن المعرفة ووضع التوقعات او الممكنات لسلوك الذات او الاخر"[1]، وهنا لم يكن بحث الموقف الاجتماعي الذي ساهم ببناء صورة الرمز يخرج عن استجابة وتأثير في الوسط ومن ثم الخروج بمعرفة نظرية وعملية كانت اوضحها في المجتمع العراقي ضمن الاطار العملي، السماح الأجتماعي (ان جاز القول) للمجتمع لابنائه بالعمل الاضافي بعد العمل

---

(1) المصدر نفسه، ص39-56.

الرئيسي للأيفاء بمتطلبات الحياة الصعبة التي فرضها الحصار الجائر. وضمن اطار المعرفة النظرية قدم المجتمع تبريراته اللفظية لهذه الحالة المستجدة مع المجتمع من خلال المقولات التي اصبحت متداولة في الشارع العراقي مثل (الشغل مو عيب).

وحين نعاين هذه الجزئية مطلع الاحتلال نجد العراقي قد تفاعل مع الموقف بذات الصيغة فهو ان تكيف عملياً مع الواقع المفروض عليه على الاقل اقتصادياً بانفتاحه على السوق العالمية إلا أنه نظرياً قد حَدَدَ السلوك الأجتماعي المصاحب لذلك بالمثال القيمي القديم حسبما اوضحت الدراسة الميدانية.

ان المنهج الظاهراتي بمفاهيمه الهوسرلية، التعليق، القصدية، الوعي وسواها ومفاهيمه التي ادخلت عليه عقب هوسرل العواطف، الجسد، الموقف، النفس، الحالة..الخ انما يوحي بوجود فكرة التماثل مع الواقع والتعامل بمنطقية عدم السماح لابداء الرأي تجاهه، فلا نقد يظهر بالموضوع من سلبيات، ولا ايمان بمبادئه تصل حد الاعجاب، انما حياة يعيشها الباحث ووصف لهذه الحياة بما عنده وعند المجتمع يعني بمشاعره مواقفه مشاركة بحيثيات المجتمع لا انقطاع عنه لتحقيق ما يسمى بالموضوعية. لان الموضوع والذات في المنهج الظاهراتي هو عينه موضوع واحد وهو ما يدعوه كارل يسبرز الذي يدعو لما يسميه بالشامل او المحيط الذي يشمل الوجود في ذاته الذي يحيط بنا، الوجود الذي نكون عليه...نتحرر من العلاقة الموضوعية الضيقة مع بيئتنا، ونتجاوز الهوة القائمة بين الذات والموضوع عن طريق المشاركة[1].

(1) اعداد فادية عمر الجولاني، المصدر السابق، ص39-56.

والمشاركة عندنا هي العيش بمنطق البيئة، والقدرة على استخلاص المخطط النظري لها، وبناء نظامها التجريدي في قالب يسمح للآخر بان يضع ذلك القالب في موقع الـ هذا حين يتعامل معه ككيان نظري يحكم من خلاله على المجتمع الذي مثله.

والقول بهذا التعريف الأجرائي للمنهج الظاهراتي يقودنا الى العودة الى ما ابتدئنا به بحثنا عن نظريتي كريب وجدنز حول التوحيد بين المنهج والعلم وحول المزاوجة بين النظريات الصغرى والكبرى. ففي الحديث عن كريب، وجدنا ان المشاركة كانت المخطط النظري لهذا التوحيد فهي حديث عن المرونة والنسبية والذاتية..المرونة حين يكون منهجنا نشدان الحقيقة لا التمسك بقوالب نظرية دون أخرى وبذلك يصبح موضوع البحث ما هو عليه لا ما نريده عليه فهو الذي يحدد ما الذي يجب ان نضعه فيه لا ما نريده نحن ان نضعه فيه، والنسبية حين نؤمن بان الموجود هو احتمالي وليس المطلق فالأحتمالي يشير الى وجود الآخر حتى وان كانت صورته غائبة اما الذاتية فلا شك هي تعامل مع الجميع وفق المستوى الافقي من المعرفة ووفق المنطق الاركيولوجي حين نعود الى الماضي ونصعد منه الى الحاضر والمستقبل وبذلك تأخذ هذه النظرية الى عالم الواقع الذي نعيش لا واقع الفكر النظري للمنظر حين يرسم صورة تحليلية لمجتمع يأمل ان نكون على هواه.

وهذا بالضبط هو ما يجعل موضوع بحثنا قابلاً لفكرة التبدل عبر فترات زمنية لتبدل ظروفها فيصبح الموضوع (المثال القيمي) هنا كلاسيكياً منكفأً على ذاته وهنا منفتحاً على غيره، فيه الغث والسمين الصالح والطالح. وليس ما نريده نحن في أي صورة جميلة نرتبه.

هذه الصورة الواقعية هي ما تقودنا الى جدنز حين درس الممارسة، او ما يسمى بتشكيل البنية ولعل ميزتها هي ما يجعلها قريبة من موضوع بحثنا، فالمثال

القيمي هي نتاج الواقع، وليست أبداً هي قوة مفروضة على الواقع، ربما تلعب القوة دوراً في التأثير على الواقع، إلا ان النتيجة ان الواقع يعيد صياغة تلك القوة بمنطقه لينتجها بلغته فيصبح الناتج ابن بيئه، يقول جدنز أن احد أغراضي من صياغة نظرية البنية هو ان اضع حداً لكل واحدة من المحاولات الامبريالية. ان مجال العلوم الأجتماعية من وجهة نظر البنية ليس استيعاب خبرة الفاعل –الفرد– او البحث عن صورة من الشمولية المجتمعية، لكن البحث عن اشكال الممارسات الأجتماعية المنظمة عبر الزمان والمكان"[1].

والحياة اليومية هي المكان الأنسب لملاحظة تلك الخبرة وتشخيص السلوك هو الأوثق لبيان ملامح العملية التي يسعى المنظر الى البحث عن صورها في بنائهِ القيمي من خلال الاعداد الأجتماعي الذي يُعده المجتمع لافراده.

وأن القاء نظوة على الواقع العراقي من خلال تتبع نمط سلوكيات ابنائه وفق التحليل الذي اشرنا اليه دليل حي على مصداقية جدنز من جانب تركيزها على الواقع. حيث وجدنا ان المثال القيمي عبر مراحل بنائهِ غالباً ما ارتكز على الممارسة، فالممارسة التي نهجها المجتمع بدأ من التغيرات الملحوظة على المجتمع العراقي في عهدي مدحت ونامق باشا وانتهاءاً بالممارسات التي نهجها في ظل الاحتلال، تمخضت دوماً عن بناء قيمي عكس تلك التوجهات.

ربما هناك الكثير من الممارسات التي لم يكن لها تأطير نظري إلا ان الممارسات التي لها صلة بقيم المجتمع العراقي وتمس حياته الاجتماعية من جانب القيم حظيت

(1) احمد زايد، آفاق جديدة في نظرية علم الاجتماع-نظرية تشكيل البيئة، مصدر سابق، ص69.

باشبه ما يمكن تسميته بالتابو فالعراقي قد سمح بالتغير على الصعيد الاقتصادي مثلاً وواكب مستجدات الظروف بمجملها إلا انه لم يسمح للقيم بالخروج عن الاطار العام لتراثه القيمي فعلى سبيل كان التغير قد بدأت تأتي ثماره مطلع السبعينات على الجانب المادي، وسمح بالمقابل لمثاله القيمي بالتحرك ضمن اطار هذا التراث فكان تغيره (المثال) مقبولاً، إلا انه وفق التغيرات التي جاء بها الاحتلال سمح بالتغير في الجوانب المادية، لكنه عاد بمثالهِ القيمي وبشدة الى تراثه القيمي ليس التسعيني او الثمانيني حتى بل حتى الخمسيني. فنشط الفكر الديني الى حدٍ ما وعادت ظاهرة الحجاب وبقوة الى الساحة العراقية في وقت معظم العالم يدعو بل ويعيش ظاهرة تنتقد الحجاب ونود ان نذكر ان العودة الى ذلك التراث هو إرادة شعبية محض فلا الحكومة ولا أي مؤسسة سياسية تعمل على ذلك.

ان الظاهراتية ونظرية جدنز لم تكونا المحورين الذين تم درس المثال القيمي لها والى جانب ذلك نجد ان علم اجتماع المعرفة هو المحصلة التي تجمع الظاهراتية ونظرية الممارسة. من زاوية، اهتماماته البحثية والمنهجية، فالمثال القيمي هو أي فكر اجتماعي يوجه السلوك الأجتماعي، مصدره الواقع كما اسلفنا وهذه متغيرات علم اجتماع المعرفة الذي يجعل تبادل الفكر والواقع محاور بحثه الرئيسة، فهو يعمل على تحليل ودراسة "مجموعة التصورات النظرية التي تسود في فترة تاريخية اجتماعية محددة"[1].

وقد وجدنا من خلال تتبع مراحل تطور التغير الأجتماعي المثال القيمي في تصورات نظرية كانت بمثابة محركات سلوكية لمجمل نشاط الحياة اليومية وقد أخذ

(1) شحاتة صيام، مصدر سابق، ص87.

علم اجتماع المعرفة على عاتقه مهمة مزدوجة ما بين قراءة تفاصيل الحياة اليومية وما بين التنظير لها، أي ان قراءة الواقع اليومي حظيت بدرجة اكبر "وهو يهتم في المقام الاول بما يعرفه الناس انه واقع في حياتهم اليومية، أي حياتهم غير النظرية او قبل النظرية، وبعبارة أخرى يجب ان تكون المعرفة الشائعة وليس في الافكار هي البؤرة الجوهرية لعلم اجتماع المعرفة، وهذه المعرفة بالضبط هي ما يؤلف نسيج المعاني التي من غيرها لا يمكن ان يوجد أي مجتمع" [1].

يحمل صفة الحياة، ويكاد يتميز على غيره من الفروع التصاقه بالواقع المعاش على مستوى الممارسة "بوصفه نظرية مكيفة او مهينة لحقل التجريبي لعلم الأجتماع" [2].

الى جانب اهتمامه ببحث النظرية الاجتماعية على المستوى النظري الصرف، بل ويذهب بيرغر ولوكمان الى اناطة مهمة كبيرة له فيما يخص مستقبل النظرية الأجتماعية وان كان البحث التنظيري فيه قد تأخر الى حدٍ ما حيث يقولان في البية الاجتماعية للواقع "فان مفهومنا لعلم اجتماع المعرفة يحمل ايضاً بعض التبعات العامة للنظرية الأجتماعية، بل لعلم الأجتماع ككل. ويقدم منظوراً مختلفاً في عدد من مجالات الأهتمام بالبحث الأجتماعي" [3].

---

(1) بيتر بيرغر، توماس لوكمان، البنية الأجتماعية للواقع، ترجمة: د. ابو بكر احمد بافادز، الاهلية للنشر والتوزيع، الاردن، ط1، 2000، ص28 .

(2) المصدر نفسه، ص27 .

(3) المصدر نفسه، ص27.

(*) واي نظرية تؤمن بهذا الخط العام يمكن ان تحل محل نظرية جدنز.

وأخيراً نود ان نستوضح امراً ونبين غاية علمية قد سعينا الى ابرازها..وهي ان المنهج الظاهراتي والتوجه نحو بحث تفاصيل الحياة اليومية واستخلاص القضايا النظرية من بين ثناياها وقد تمثلت هنا بنظرية جدنز وعلم اجتماع المعرفة* كعلم يسعى الى صياغة قوالبه النظرية من التجريب، يشكل طرحاً لقضية نظرية تصلح نقطة انطلاق لدراسة لاحقة وهي على الشكل التالي:

تتداخل المتغيرات الداخلية الذات، الوعي، القصد، العواطف...الخ مع المتغيرات الخارجية الواقع، اللغة، الجماعة...ضمن شبكة التداخل ما بين ما يعكس المتغيرات الداخلية والخارجية كفكر حددهما الواقع الاجتماعية بظرفيتيه الزمانية والمكانية واطارهما الاجتماعي مما يرسم صورة للواقع الاجتماعي ولشخصية الفرد في المجتمع ويحدد غطاها السلوكي والحضاري.

الخاتمة

ان الانتهاء الى إقرار نتائج نهائية، قد يثير مسألة نقاشية، إذ لا نهاية في الأحكام الانسانية، لأن الانسان ككائن مفترض وواقعي، لا يكاد يستقر على حكم ما الا وعوادي التغير تدب فيه بعد حين.

فينبري لايراد الحجج والبراهين التي يؤكد فيها مبررات تحوله من موقف أو راي الى موقف أو رأي آخر.

وطبيعي أن كثيراً من مواقفه المتغيرة ما تطال تطلعات الحياة المادية، بشكل اسرع مما تطال القيم المعنوية، وتلك لا شك مقولة لاوكبرن ونيمكوف، لم نأتي بشيء جديد عليها.

الا اننا نستدرك على نظريته، أنه لا يوجد بالضرورة تغير في جميع القيم المعنوية، وذلك ان القيم الدينية على سبيل المثال قيم ثابتة لا تتغير، وان النص الديني في العصر الحاضر، هو نفسه الذي كان زمان الانبياء عليهم الصلاة والسلام.

نعتقد بأن تفسيرات تلك النصوص هي التي تتباين وتختلف الا إن تلك التفسيرات لا تسير بنفس الوتيرة التي تسير بموجبها التغيرات التي تحصل في الجوانب المادية.

أما التغير الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والثقافي فأنه صحيح تنطبق عليه نظرية أوكبرن، ومن ثم اذا اسلمنا بهذه النظرية، فأنه لا شك يكون لهذا التغير اسباب مادية وواقع اجتماعين فيحمل هذا الواقع البنيات الذهنية التي تعبر عنه وتغدو كل بنية ممثلة للواقع الذي نبعت منه.

وما دافع حال المجتمع العراقي الا خاضع لهذا التفسير، اذ كان لكل مرحلة من مراحل المجتمع العراقي سواء مراحل التطور السياسي، أو مراحل التطور الاقتصادي..ز الخ بنى ذهنية عكست أوضاع تلك المراحل.

ففي القرن التاسع عشر وحتى مطلع الخمسينات امتاز المثال القيمي بالثبات الى حد كبير، فلما وصلت آثار الحرب العالمية الثانية الى العراق فانها جعلته مع احتكاك بالعالم الخارجي وثقافته بشكل اكبر مما يجعله مهيئاً لقبول فكرة التغير الاجتماعي حسبما اوضحت دراسة الراوي في المتن، واستمر الاجتماعي يسير وفق وتيرة معتدلة جل ومخطط لها منذ سبعينات القرن العشرين حتى مطلع الحصار الشامل على العراق وقد كانت له آثار سيئة كان من اشدها الظرف الاستثنائي الذي عاشه المجتمع العراقي في جميع انساق بنائه، فكانت الانتقالات الاجتماعية خلال هذا الظرف خارجة عن التخطيط ومقرونة بالنجاح في الكسب الأقتصادي مما اثر على معالم المثال القيمي التقليدي.

وان كان مثال الظرف الاستثنائي القيمي طارئاً كما هو معلوم، كما ان البنى الذهنية لا تكتمل ما بين عام او عامين حسب ما يقول اوكبرن، الا انها مما لا شك مما لا شك مثلت تغييراً على المستوى النفسي العراقي خاصة قد تعرض العراق فيه الى هجمة اعلامية منظمة قادتها الولايات المتحدة وحلفائها، ساعدتها كثيراً في اسقاط الدولة العراقية الحديثة في 9/ 4/ 2003.

اما على الصعيد النظري فان الاتجاه الحديث في النظرية الاجتماعية في توفيقه بين النظريات الكبرى والنظريات الصغرى كان اقرب في التفسير الاجتماعي لجمل السلوك الاجتماعي لافراد المجتمع العراقي من أي من النظريات الكبرى أو الصغرى وهو ما تضح من درجة تماثل الفرد كوحدة تحليل يعتمد من قبل

النظريات الصغرى مع المثال القيمي كوحدة تحليل يعتمد في النظريات الكبرى. فكان الفرد ومثاله القيمي وحدة تحليل واحدة بالنسبة لما استخدم من تحليل بواسطة منهجا علم اجتماع المعرفة والمنهج الظاهراتي على الاقل حسب تصور الباحث (القابل للطعن علمياً).

من هنا كانت نظرية التشكيل البنائي الحديثة من حيث فكرتها العامة وان لم يكن بالضرورة من حيث تفضيلاتها الجزئية هي الاكثر قدرة على التفسير لأنطوائها على مفاهيم الدوافع اللاشعورية وتميزه بين الوعي الخطابي والوعي العملي مقابل ربطه العقل بالقوة بمعنى ان الفاعل لديه المقدرة على التأثير والأهم من ذلك ان الفاعل يكف عن كونه فاعلاً إذا افتقد المقدرة على التأثير[1] وهذا بالضبط ما وجدناه في دور الفاعل العراقي في بناء مثاله القيمي التقليدي (القديم) حيث كانت له القدرة وكيف انتهى به الامر الى الانكفاء الى الاسرة حين افتقد القدرة على التأثير حسبما اوضحت نتائج الدراسة في زمن الاحتلال.

ومن جهة اخرى كان المنهجان منهج علم اجتماع المعرفة والمنهج الظاهراتي هما من انسب المناهج في رؤيتها للواقع الاجتماعي وعدم الاعتماد على تفسير نظري احادي بقدر ما هو تكاملي بين رؤيتين أو اكثر حسب تحديه أيان كريب وجدنز وسواهما.

ومن حيث تضمن المنهج الظاهراتي مفاهيم التعليق والقصدية والشعور والوعي وهي مفاهيم تجعل تصوير الحقيقة اقرب الى الواقع فالفرد يعلق ذاته ويتقصد نوع الحقيقة بدوافع داخلية تتمثل بالشعور وخارجية تتمثل بالوعي.

---

(1) مصطفى خلف عبد الجواد، مصدر سابق، ص446.

وهذه المفاهيم كانت حاضرة في سلوك الفرد العراقيوهو يبني تـصوره القيمـي عبر المراحل التاريخية التي مر بها العـراق في العـصر الحـديث علـى سـبيل المثـال لا الحصر مفهوم الوعي الذي ادركه العراقي تجاه الاحتلال كان حافزاً لأنكفائـه علـى اسرته مثلاً كما كان وعيه من قبل حاضراً على المشاركة في بناء مثاله القيمـي وكـل ذلك بفعل الاعداد الاجتماعي الذي يغرسه المجتمع في نفوس ابنائه.

والله من وراء القصد

المراجع

- قيس النوري، آفاق التغير الاجتماعي في النظرية والتنموية، جامعة بغداد، 1990، ص17.
- مصطفى خلف، عبد الجواد، دار المسيرة ، عمان، ط1، 2009، ص444.
- ينظر قباري محمد اسماعيل، منهج البحث في علم الاجتماع، منشأة المعارف بالاسكندرية، دون تاريخ، ص571-594.
- بول لازرسفيلد، الاتجاهات الاساسية في علم الاجتماع، ترجمة د. احمد النكلاوي و د. عواطف فيصل بياري، مكتبة نهضة الشرق- القاهرة، بدون تاريخ، ص94.
- مجموعة من الباحثين، دارسات مغربية، دار التنوير للطباعة والنشر، المغرب العربي، الدار البيضاء، الطبعة الاولى، 1985، ص148.
- ايان كريب، النظرية الأجتماعية من بارسنز الى هابرماس، ترجمة: محمد حسين علوم، سلسلة عالم المعرفة، ع244 لسنة 1999، ص230.
- احمد زايد، آفاق جديدة في نظرية علم الاجتماع – نظرية تشكيل البنية، المجلة الأجتماعية – القومية، يصدرها المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، مجلد 33، ع1و2، سنة 1969، ص69.
- اورفيل بوم، التنشئة الاجتماعية بعد الطفولة، ت د. علي الزغل، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان – الاردن، الطبعة الأولى، 1988، ص16.
- د. قيس النوري، ملامح الواقع الذهني في مجتمعنا، مجلة كلية الاداب، جامعة بغداد، العدد 25 سنة 1979، ص411.
- علي عبد الامير، البيروقراطية والاعداد الاجتماعي في العراق، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1977، ص131.
- د. قيس النوري، افاق التغير الاجتماعي النظرية والتنموية، مصدر سابق، ص67.
- ينظر: د. مصطفى الخشاب وآخرون، اصول علم الاجتماع، لجنة البيان العربي، بدون تاريخ.
- د. علي الوردي، الفرضيات الثلاث حول المجتمع العراقي، جريدة القادسية، العدد 1861، 22 حزيران، 1986.

- ينظر. د. علاء الدين جاسم البياتي، المرأة والتغير الاجتماعي في القطر العراقي، مجلة كلية الاداب، العدد 25، شباط، 1979.
- ينظر. د. علاء الدين جاسم البياتي، المرأة والتغير الاجتماعي في القطر العراقي، مصدر سابق.
- د. علي السلمي، مقدمة في العلوم السلوكية، دار المعارف بمصر، ط1، 1968، ص248.
- عبد الغني الدلي واخرون، احوال العراق الاجتماعية والاقتصادية، مطبعة الزهراء، بغداد، ط1، 1953، ص194.
- د. كمال مظهر احمد، الطبقة العاملة العراقية، دار الرشيد للنشر، بغداد 1981، ص50.
- د. علاء الدين البياتي، المرأة والتغير الاجتماعي...، مصدر سابق، ص554.
- د. مسارع الراوي وآخرون، القيم الاجتماعية ومشكلات المجتمع العراقي، مطبعة الحكومة، بغداد، 1969، ص70.
- د. احسان محمد الحسن، التصنيع وتغيير المجتمع، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986، ص16.
- عائدة سالم محمد الجنابي، المتغيرات الاجتماعية والثقافية لظاهرة الطلاق، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1983، ص139.
- اينوروزي، جدلية علم الاجتماع بين الرمز والاشارة، تأليف: د. قيس النوري، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1988، ص82-83.
- د. علي السلمي، مقدمة في العلوم السلوكية، مصدر سابق، ص227.
- الفكر العربي المعاصر، مجلة العلوم الأنسانية والحضارية، ع41، سنة 1986، مركز الأنماء القومي، بيروت؛ بيير بورديو، الراسمال الرمزي والطبقات الاجتماعية، ترجمة: عبد السلام عبد العالي، ص41.
- عبد الله بن مسعود الطويرقي، مناهج البحث التفسيرية في دراسات الاتصال التنظيمي، حولية كلية الانسانيات والعلوم الأجتماعية، جامعة قطر، ع18، سنة 1985، ص362.





تلاع العلي - شارع الملكة رانيا العبدالله
تلفاكس: 5353402 6 962+
ص.ب: 520946 عمان 11152 الأردن

مجمع العساف التجاري - الطابق الأول
خلـوي: 95667143 7 962+
E-mail: darghidaa@gmail.com

